بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة وادي النيل
كلية الدراسات العليا

القيم الاجتماعية في المعلقات السبع

دراسة تحليلية نقدية

بحث تكميلي مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالبة
غادة إبراهيم السيد حسن

إشراف الدكتور
عبد الغفار الحسن محمد محمد أحمد

١٤٣٠/٩هـ - ٩/ ٢٠٠٩م

الآية الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

(وقل رب زدني علماً...)

صدق الله العظيم

سورة طه
الاية(١١٤)

شكر وعرفان

يارب لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك الكريم وعظيم سلطانك....

فالحمد والشكر لله من قبل ومن بعد

الشكر كل الشكر لمن أعاننى وألهمنى وأنا أضع اللبنات الأولى لهذا العمل وعلى رأسهم **الدكتورة / هناء أبو زينب** الأستاذة بجامعة البحر الأحمر ...

ثم من الشكر أجزله **للدكتور / عبد الغفار الحسن محمد** الاستاذ بجامعة وادى النيل والذى أشرف على هذا البحث وأنار لى الدرب بسراج علمه وأدبه وصبره ....

أخيراً كل التقدير والعرفان لجميع أفراد أسرتى الذين ماوهنوا من دعمى بكل ما يملكونه فى تذليل كل الصعاب التى واجهتنى فليجزيهم الله عنى كل الجزاء ...

نادة ...

إهداء

الى ...

روح شقيقتى "شيرين"

تغمدها الله بواسع رحمته....

الفهرست

الموضـــوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الشكر والعرفان	ب
الإهداء	ج
المستخلص	د
Abstract	هـ
المقدمة	١
الفصل الأول **الحياة العربية في العصر الجاهلي**	4
المبحث الأول : الحياة الإجتماعية والفكرية والعقلية	5
المبحث الثاني : الحياة الاقتصادية والسياسية	12
الفصل الثاني **الشعر عند العرب**	17
المبحث الأول : الشعر الجاهلي والعوامل المؤثرة فيه	18
المبحث الثاني : رواية وتدوين الشعر	26
المبحث الثالث : القيم الإجتماعية للشعر الجاهلي	40
الفصل الثالث **المعلقات**	48
المبحث الأول : التسمية وما قيل حولها	49
المبحث الثاني : عددها ونسبتها إلي أصحابها وما قيل حوله	٥6
المبحث الثالث : ما تفردت به المعلقات والقضايا المثارة حولها	٦1
الفصل الرابع **القيم الاجتماعية في المعلقات السبع**	٧3
المبحث الأول : شعراء المعلقات السبع	٧4
المبحث الثاني : القيم الاجتماعية في أ/ الوفاء والأمانة	٨4

ب/ الكرم	٩4
ج/ شرب الخمر ومجالسها	١٠3
د/ التضامن الاجتماعي	١١0
هـ/ معاملة الأقارب والأصدقاء	١١6
و/ حماية الجار والمستجير والحليف	١٢1
ز/ الثأر والانتقام	١٢7
الخاتمة	١٣8
المراجـع	١٤0

بسم الله الرحمن الرحيم

Abstract:-

Per-Islamic poetry has become the core for numerous studies. It has been more significant than any other literary genre. This is due to the fact that Pre-Islamic poetry is the only documented, Confidential and non-distorted heritage-People have become more aware of the early life of the Arabic , Their beliefs , races , dialects and social values .

The research tackles the social relationships of Beduins and their traditions and customs

That had emerged as a result of their unique way of life.

The research also, mentions the Beduins ‘values and traditions preservation as it is stated

Clearly in their pre-Islamic prolonged poems.

مستخلص

أصبح الشعر الجاهلى محور دراسات كثيرة ونال أهمية لم ينله أى ضرب من ضروب الأدب الأخرى وذلك يعود لإعتباره الأثر الوحيد الذى وصل إلينا موثقا ولم يصبه –كغيره – أى تحريف. فتعرف –من خلاله– الناس على حياة العرب الأولى من معتقدات وعادات وأنساب ولهجات وقيم إجتماعية .

توصل البحث إلى طبيعة العلاقات الإجماعية للبدويين وتناول العادات والتقاليد التى تمخضت عن معايشهم كما توصل البحث إلى حقيقة محافظة البدوى على قيمه وتقاليده حيث يتضح ذلك جلياً فى معلقاتهم .

المقدمة :

كان الشعر الجاهلي محور دراسات كثيرة ونال أهمية واهتمام لم ينله أي ضرب من ضروب الأدب الأخرى وذلك يعود إلي أن الشعر الجاهلي هو الأثر الوحيد الذي وصل إلينا موثق فقد ضاع منه ما ضاع وتحرف منه ما تحرف وكانت المعلقات خير نموذج للشعر الجاهلي فمن خلاله تعرف الناس على حياة العرب إلي جانب ما في هذا المجتمع من معتقدات وعادات وتقاليد وأنساب ولغات ولهجات .

والمعلقات قصائد نالت شهرتها واهتمام لأنها حوت موضوعات شتى إلي جانب أن الشعراء الذين كتبوها كانوا شعراء مجيدين تباروا فيما بينهم ليظهروا ما لديهم من مهارات لغوية وملكات أدبية واضعين في الاعتبارات قصائدهم سوف تعرض على نقاد متمكنين وجمهور ذواق فكان هذا الإنتاج الأدبي الضخم الرائع .

فالشعر الجاهلي عامة والمعلقات خاصة تراث أدبي ممتاز فهو أخصب الشعر وصدقه وأكثره أصالة وحيوية وتجاوباً مع بيئة وظروف حياتهم .

يجب أن ننظر إليه بأنه ينبوع الأدب العربي ورافده الذي يمده بأسباب الحياة والأساس الذي يقوم عليه بناء الشعر في مختلف العصور فهو ملئ بالعواطف الصادقة وبراعة التعبير .

فالمعلقات ستظل ديوان اللغة العربية ومرجعها الأول في كافة قضايا اللغة العربية .

وشعراء المعلقات اجتمعت فيهم صفات الامتياز الفني في قول الشعر وجاءت معبرة عن حياتهم صور استحسنها الناس والنقاد في أغلب العصور فقد بلغ تقدير العرب لها في العصر الجاهلي إن علقوها في الكعبة وبيوتهم وقلبهم .

دوافع البحث :

دافعي من خوض غمار هذا البحث أن أزيل بعض الغموض الذي يكتنف العصر الجاهلي في نظر بعض الباحثين وأن أتعرف على القيم الاجتماعية في ذلك المجتمع من خلال شعرهم بل أجود شعرهم شعر المعلقات لكي تضاء لنا بعض جوانب تاريخنا لنستهدي به في حاضرنا الأدبي وإذا كانت دراسة الشعر الجاهلي تكشف لنا بدقة عن تأثيراته في الأشعار التي جاءت بعده من حيث منهج القصيد والمعاني والأخيلة والموسيقى فغن تلك قضايا كبرى في الأدب وأضيف إليها قضية القيم الاجتماعية وأرجو أن أوفق في كشفها .

ودافعي أيضاً رسم صورة العرب الاجتماعية من خلال ما قالوا دون تعصب لتوضيح تلك القيم التي حوتها المعلقات .

حدود البحث :

فترة العصر الجاهلي .

أهمية البحث :

تكمن في ما يحتويه الشعر الجاهلي وخاصة المعلقات من تراث أدبي وقيم اجتماعية وصور بلاغية فهي ديوان اللغة العربية ومرجعها الأول من كافة قضايا اللغة العربية .

أهداف البحث :

- التعرف على البيئة العربية وحياة العرب في الجاهلية .
- تعريف الأدب الجاهلي وتوضيح الصور الاجتماعية فيه والتي كانت تمثل بعداً جوهرياً لحياة العرب وعاداتهم وتقاليدهم .
- المعلقات السبع وما حوته من انعكاس للحياة العربية .
- رأي النقاد في هذه المعلقات .
- إضاءة على حياة الشعراء السبعة .
- أصل المعلقات وعددها وسبب التسمية .

– توضيح القيم الاجتماعية التي شملتها المعلقات والأسباب التي كانت وراء صورة هذه القيم الاجتماعية .

المراجع التي أفادت الدارسة :

* الشعر الجاهلي السياق والملامح . د . صلاح رزق .
* الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين . د . علي الخطيب .
* أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام .

هيكل البحث :

يحتوي على أربعة فصول هي :

الفصل الأول : الحياة العربية في العصر الجاهلي .ويضم :

الحياة الاجتماعية والفكرية والعقلية عند المجتمع الجاهلي .

الحياة الاقتصادية والسياسية .

الفصل الثاني : الشعر عند العرب . ويضم :

الشعر الجاهلي والعوامل المؤثرة فيه رواية وتدوين الشعر .

القيمة الاجتماعية للشعر الجاهلي .

الفصل الثالث : المعلقات . ويضم :

التسمية وما قيل حولها .

عددها ونسبتها إلي أصحابها وما قيل حولها

ما تفردت به المعلقات والقضايا المثارة حولها .

الفصل الرابع : القيم الاجتماعية في المعلقات السبع . ويضم :

شعراء المعلقات السبع .

الوفاء والأمانة في المعلقات

– الكرم

– شرب الخمر ومجالسها

– التضامن الاجتماعي

– معاملة الأقارب والأصدقاء

– حماية الجار والمستجير والحليف

– الثأر والانتقام .

منهج البحث:

الوصفي التحليلي .

المقدمة :

كان الشعر الجاهلي محور دراسات كثيرة ونال أهمية واهتمام لم ينله أي ضرب من ضروب الأدب الأخرى وذلك يعود إلي أن الشعر الجاهلي هو الأثر الوحيد الذي وصل إلينا موثق فقد ضاع منه ما ضاع وتحرف منه ما تحرف وكانت المعلقات خير نموذج للشعر الجاهلي فمن خلاله تعرف الناس على حياة العرب إلي جانب ما في هذا المجتمع من معتقدات وعادات وتقاليد وأنساب ولغات ولهجات .

والمعلقات قصائد نالت شهرتها واهتمام لأنها حوت موضوعات شتى إلي جانب أن الشعراء الذين كتبوها كانوا شعراء مجيدين تباروا فيما بينهم ليظهروا ما لديهم من مهارات لغوية وملكات أدبية واضعين في الاعتبارات قصائدهم سوف تعرض على نقاد متمكنين وجمهور ذواق فكان هذا الإنتاج الأدبي الضخم الرائع .

فالشعر الجاهلي عامة والمعلقات خاصة تراث أدبي ممتاز فهو أخصب الشعر وصدقه وأكثره أصالة وحيوية وتجاوباً مع بيئة وظروف حياتهم .

يجب أن ننظر إليه بأنه ينبوع الأدب العربي ورافده الذي يمده بأسباب الحياة والأساس الذي يقوم عليه بناء الشعر في مختلف العصور فهو ملئ بالعواطف الصادقة وبراعة التعبير .

فالمعلقات ستظل ديوان اللغة العربية ومرجعها الأول في كافة قضايا اللغة العربية .

شعراء المعلقات اجتمعت فيهم صفات الامتياز الفني في قول الشعر وجاءت معبرة عن حياتهم صور استحسنها الناس والنقاد في أغلب العصور فقد بلغ تقدير العرب لها في العصر الجاهلي إن علقوها في الكعبة وبيوتهم وقلبهم .

مشكلة البحث :

ما القيم الأجتماعية فى المعلقات السبع؟

أهداف البحث :

- التعرف على البيئة العربية وحياة العرب في الجاهلية .
- تعريف الأدب الجاهلي وتوضيح الصور الاجتماعية فيه والتي كانت تمثل بعداً جوهرياً لحياة العرب وعاداتهم وتقاليدهم .
- المعلقات السبع وما حوته من انعكاس للحياة العربية .
- رأي النقاد في هذه المعلقات .
- إضاءة على حياة الشعراء السبعة .
- أصل المعلقات وعددها وسبب التسمية .
- توضيح القيم الاجتماعية التي شملتها المعلقات والأسباب التي كانت وراء صورة هذه القيم الاجتماعية .

دوافع البحث :

من أسباب إخيار هذا الموضوع أن إزالة بعض الغموض الذي يكتنف العصر الجاهلي في نظر بعض الباحثين وأن أتعرف على القيم الاجتماعية في ذلك المجتمع من خلال شعرهم بل أجود شعرهم شعر المعلقات لكي تكشف لنا بعض جوانب تاريخنا لنستهدي به في حاضرنا الأدبي وإذا كانت دراسة الشعر الجاهلي تكشف لنا بدقة عن تأثيراته في الأشعار التي جاءت بعده من حيث منهج القصيد والمعاني والأخيلة والموسيقى فمن تلك قضايا كبرى في الأدب وأضيف إليها قضية القيم الاجتماعية وأرجو أن أوفق في كشفها .

ودافعي أيضاً رسم صورة العرب الاجتماعية من خلال ما قالوا دون تعصب لتوضيح تلك القيم التي حوتها المعلقات .

أهمية البحث :

تكمن في كشف ما يحتويه الشعر الجاهلي وخاصة المعلقات من تراث أدبي وقيم اجتماعية فهي ديوان اللغة العربية ومرجعها الأول. وهى صورة صادقة للعصر الجاهلى فى اللغة العربية . حيث أغنى البحث العلمى –فى جانب المعلقات– شرائح مختلفة مثل المعلمون –الطلاب –النقاد والباحثون والمركز القومى للمناهج والبحوث

منهج البحث:

الوصفي التحليلي .

حدود البحث :

فترة العصر الجاهلي وهى الفترة ماقبل الإسلام بـ١٥٠ عام .

المبحث الأول
الحياة الفكرية والعقلية

تعددت الكتب والأبحاث التي تناولت هذا العصر وتطرقت إلي حياتهم الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ، كما شملت الأوضاع الجغرافية والبشرية واللغوية وهناك جوانب لم يتم التطرق لها ، ولكن يرى الباحث أنه يمكن أن توسع دائرة الفكر في هذا الموضوع ، ونوضح أكثر الجوانب التي لم تأخذ فرصة شامله منه . لتتجلي تلك الصور الرائعة التي كانت سائدة في هذا العصر رغم التسمية التي أطلقت عليه (الجاهلية) .

أولاً : الجاهلية :

إذا أخذنا هذه الكلمة من الجانب اللغوي فنجد أنها ضد العلم ولكن عندما أطلقت على هذه الفترة لم يقصد بها هذا المعنى اللغوي إنما قصدت به تلك الفترة التي عاشها العرب قبل الإسلام ، أي الممارسات والإنحرافات والمعتقدات والعادات التي حُربت بعد ظهور الإسلام ، ولقد ورد ذكر هذا في القرآن الكريم في قوله تعالى : (إذ جعل للذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية)[1] ، كما ورد أيضاً في الأقوال المأثورة كما في قول عائشة رضي الله عنها (كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء) .

وهذا يؤكد أن لفظ الجاهلية إنما قصد به الفترة التي تخلى فيها العرب عن الديانة الحنيفية فترة وسادت الفوضى وعدم الإلتزام بالتعاليم الدينية ولا يشير هذا بأي صور من الصور إلي أن العرب ليس بعلماء فهم أهل التراث الأدبي والعلمي ، ونجد هذا جلياً في حكمهم التي لها مكانة في التراث ومن أشهر حكمائهم الجرهمي والأقرع بن حابس وغيريهم ، ويرى معظم الكتاب (أن الجاهلية إنما تعني الحمق والتهور

---

[1] سورة الفتح الآية رقم ٢٦ .

وعدم القدرة على ضبط النفس وسرعة الأنفعال وهذا ما عناه الشاعر عمرو بن كلثوم في قوله)[2]

ألا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وخلاصة القول أن العرب الجاهليون قد عاشوا في منطقتهم حياة تنم على قدر كبير من العلم والثقافة والأدب والنضوج في شتى الميادين رغم ما أطلق عليهم من لفظ جاهلية – بأنهم أهل جهل وهمجية وفوضى وليس لهم حضارات كالتي كانت سائدة في ذلك الوقت .

المجتمع الجاهلي :

ويقصد به تلك الروابط التي تجمع العربي بأسرته الصغيرة وبني عمه وكذلك علاقة القبائل ببعضها البعض .

وإذا أخذنا هذا من الجوانب التاريخية نجد أنهم قد جمعتهم لغة واحدة هي العربية رغم اختلاف اللهجات كما يجمعهم دين واحد هو الوثنية وجنس وعرق واحد هو السامي . ويرجع هذا إلي تلك العزلة التي التي فرضتها الطبيعة على بلاد العرب فنج فيها فريقين من السكان فريق البدو وهم القسم الأكبر من حيث العدد وقد تواجدا في شمال شبه الجزيرة العربية ويعيشون في الصحراء كما وصفهم سمنة مؤرخ مصر في عصر الأسرة التاسع عشرة رعاة يحبون الحرب ويغير بعضهم على بعض فينجم عنها إزهاق الأرواح ونهب الأموال وأسر الرجال وسبي البنات وفي هذا إعلاء لشأن القبيلة المنتصرة وينمي ثروتها بما غنموه أو كسبوه من فداء الأسرى والسبايا أو احتلال أرضهم والسيطرة على ديارهم ولا يكفون عن هذه الممارسات إلا في الأشهر الحرام فهي لا تجتمع مع بعضها البعض إلا في حلف مؤقت فالصحراء وما تقتضيه حياة القبيلة لم تسمح لهم بإنشاء مجتمع راقي أو قومية شاملة ، أو دولة موحدة ، أما الصلة بين الفرد والقبيلة تجمل في أن الواحد للجماعة والجماعة للواحد فالقبيلة مصنفة إلي أربعة طبقات ، الأولى هي طبقة أبناءها الأحرار أصحاب النسب الرفيع ، والثانية طبقة العبيد الذين تم جلبهم من المناطق المجاورة ، أما الطبقة الثالثة فهي طبقة العتقاء أو الموالى وأخيراً الخلعاء وهم الخارجين عن القانون وتم طردهم ونفيهم

---

[2] في الأدب العربي القديم ، محمد صالح الشطي ، دار الأندلس ص ٤٠

من القبيلة لارتكابهم أفعال تشين إلي قومهم ورغم هذا نجد أنه يحق لهذا الخليع أن يستجير بقبيلة أخرى ويصبح من أفرادها ومن أشهر فئة من هؤلاء الصعاليك الذين كانوا يهيمون في الصحراء يسلبون وينهبون ويقطعون الطرق على القوافل ومن أشهرهم تأبط شراً والشنفري . ولكن هذا الخلع لا يحدث كثيراً إلا في بعض الحالات لأن الطبيعة العربية كانت تهتم بغرس صفات المروءة وتحثهم على الحرص على شرف القبيلة .

وهنا يتضح لنا أن أمر القبيلة لم يكن فوضى بل هناك أسس وقواعد يلتزم بها كل من يعيش في كنفها . ولقد احتل الكرم مكانة مكانة عند العرب حرصاً على تحقيق السيادة من باب البذل والعطاء .

ويقول د. صلاح رزق (لما كانت حياة معظم العرب تقوم على الحل والترحال وطول السفر ومشقة فقد كان معرضاً دوماً إلي الضلال في الصحراء ونفاد الزاد وهنا كان استقباله وإكرام منزلة نوعاً من إنقاذ حياته وجميعهم معرضون لذلك ، ومن ثم فمقيم اليوم راحل غداً قد يتعرض لتلك المخاطر المهلكة فكان من الحكمة وعلو الهمة أن يحرص كل عربي على إكرام الضيف ... يعرفه أو لا يعرفه ---- بل يسعى إلي ذلك ويدعوا إليه ، ويشعل النيران على القمم العالية دعوة دائمة لأبناء السبيل)[1] .

ويقول عروة بن الورد :

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحدثه أن الحديث من القرى وتعلم النفس أنه سوف يهجع [2]

كما أعلى المجتمع قيمة الوفاء والأمانة وذم الغدر والخيانة ، فإذا ألزم العربي نفسه بعهد أو ميثاق أوفي به ، وإذا أؤتمن حرص على أداء الأمانة مهما كلفه ذلك . كما نجده يفتخر بصفته عن المحارم والأعراض ولا يمس جيرانه بسوء .

أما الفريق الثاني من السكان فهم العرب الحضر والحضريون انشاؤا المدن والقرى واتخذوا الحياة المستقرة في التجارة والزراعة على المناطق الجنوبية والشرقية

---

[1] الشعر الجاهلي السياق والملامح وأهم القضايا. د . صلاح رزق ص ٣٦ .

[2] حماسة البحتري ، ج ٢ ، المطبعة الرحمانية. ص ٣٢٤.

والواحات الحجازية ومدن الطائف وتبوك وخيبر واليمن وغيرها ولقد شهدت هذه المناطق أيضاً قيام بعض الحضارات في اليمن ولقد تحدث عنها التاريخ بصورة كبيرة عن الممالك والتطوير العمراني الذي شهدته هذه المناطق أيام مملكة سبأ وذلك الصرح العمراني الذي شهده سد مأرب وغيرها من ممالك حمير والغساسنة . أما الحجاز فقد كانت من أشهر المناطق التجارية كما اشتهرت بالنظم الدينية والاقتصادية والإدارية لذلك عم فيها الثراء وعرفت بتجارة الصيف إلي الشام والشتاء إلي اليمن (لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)[1] .

وهذا الاستقرار هو ما ميز الحضر عن البدو ولكن هناك عادات ومعتقدات جمعت بينها مثل الكهانة وهي مختصة بما يتعلق بالمستقبل أما العرافة فهي مرتبطة بالماضي ومن أشهر الكهان سلمى الهمدانية وعفيراء وخنافر الحميري أما العرافين فمنهم اليمني رباح بن عجلة والأبلق الاسدي عراف نجد . أما ضرب الحصى وهو طرقه ببعضه البعض على الطارق معرفة الإجابة وكذلك خط الرمل وهي من الأمور المنتشرة في أوساط العرب كما نجد الزجر وهو إثارة فإذا اتجه شملاً فهو مصدر تشاؤم وسميه بارحاً أما إذا استدبره فيسمى قعيداً وهذا الضرب من المعتقدات قد أنكره البعض وذكره في شعره منهم لبيد في قوله :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زجرات الطير ما الله صانع

وكانوا يستقسمون بالأزلام ، فإذا عزموا على فعل أمر أخذوا قداحاً كتب عليها إفعل ولا تفعل . وللناقة نصيب في هذه المعتقدات فكانت أن أنجبت خمسة أبطن أخرها ذكر شقت أذنها وأخلية سبيلها وتسمى بالبحيرة وإذا أنجبت أنثى فهي لهم وإذا أنجبت ذكراً فللإله أما إذا كان معاً فتترك ولا ينتفع بها والفحل إذا أنتج عشره أبطن حرموا ظهره ولم يمنع الماء والكلاء ولقد ذكر ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) [2].

---

[1] سورة قريش

أما الجن والعفاريت فقد كان لهما حضور وذلك بمخالطته في السكن والاستهواء والمواكلة والزواج ونجد في هذا أخبار وأشعار وجميع هذه العادات والمعتقدات توضع في قائمة الممارسات السيئة للجاهلية إضافة إلي الخمر وما تبعها من استباحة النساء ولعب الميسر .

وعندما جاء القرآن حارب هذه الممارسات ويتضح هذا عند قوله تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس ، وإثمهما أكبر من نفعهما)[1] .

وأهتم الوضع الاجتماعي بالمرأة فقد كان لها شأن عظيم في الجاهلية فقد ملكت حرية القرار في كثير من الشؤون ونجد النساء نوعين:- إماء وحرائر. فالإماء تضم عاهرات ، وقينات المزاهر والجواري خادمات الشريفات وراعيات الإبل والأغنام وهم أقل مكانة فإذا استولدوهن لم يعترفوا بالأنساب إلا في حالة إظهارهم بطولة وشجاعة كما حدث مع عنترة بن شداد . أما الشريفات فقد حظين بمكانة رفيعة فكان لهن حق اختيار أزواجهن وتركهن إذا لم يحسنوا معاملتهن كما كن يحمين المستجير ويمنحنهن حرياتهم .

ونساء العرب يصحبن رجالهن في الحرب ويشدوا من أزرهم فإذا قتل أحد ازواجهن في المعركة لا يرجعن لديارهن ولايمارسن حياتهن بصورة طبيعية حتى يتم الأخذ بثأره ولا يرضين بالدية ، كما ذكرت ذلك كبشه أخت عمرو بن معد عندما قُتل أخاها [1]

فإن أنتم لم تثأروا وأترتيم فمشوا بآذان النعام المصلم [*]

وتقول أم عمرو بنت وقدان في أخ لها قُتل وقد فكرت عشيرتها في قبول الدية[2]

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم خذوا السلاح ووحشوا بالأبواق

---

[2] سورة المائدة ، الآية رقم ١٠٣

[1] الأصمعيات ،المرزوقى ،ج ١، دار المعارف ، ص ١٥٧

[*] أترتيم : أخذتم الدية

[2] الأصمعيات ، المرزوقي ، ج ٣ ص ٢٠١.

[*] المجاسد : الثياب المشبعة بالصبغة – النقيب جمع نقبه هي زار للمرأة .

وخذوا المكاحل والمجاسد وألبسوا نقب النساء فبئس رهط المرهق [*]

كما عرف كثيرات منهن بالشجاعة ، والفصاحة والشعر ، وحسن الرأي والحكمة والعرافة ويتفاخرون بأم الولد إذا كانت حرة ويحق للمرأة الطلاق إذا اشترطته عند الزواج ولا يحل للزوج إرجاع زوجته إذا طلقه ثلاث وإذا كانت ترغب في الطلاق عملت على تغيير وجه باب منزلها ، أما إذا مات زوجها فعليها العدة وعدم الخروج من دارها أو إمساس الماء أو تقليم الأظافر .

أما جمالهن فقد أنطق ألسنتهم فوصفوه ووصفوا ما كان يتزين به ولم يغب عليهم جمالها المعنوي وما تتحلى به من خصال الكرم والعفة .

الحياة الفكرية والعقلية :

لقد اهتم العرب بالأنساب ومعرفة تاريخ الوقائع الحربية والحياة الصحراوية دعتهم إلي معرفة النجوم وحركة الرياح وأوقات الأمطار لتحديد أوقات الخصب (لقد اشتهرت بعض القبائل بخبرتها الواسعة بموقع النجوم وأنوائها مثل قبيلة مرة وبن حارثة بن كلب وكثر ذكر الكواكب في الشعر كالفرقدين والسماكين ، وبنات نعش والشعري ، والجوزاء والعيوق ، وغيرها . وكان نظرهم دقيقاً ثاقباً في المطر والرياح ومهابها ، والسحاب وأشكاله ومواسمه . واللغة العربية غنية بأسماء السحب وأنواع الرياح وضروب القطر)[1] .

ونجد أن لهم مهارات واسعة في تتبع الأثر في الأرض والرمل للإنسان والحيوان .

كما عرفوا بعض من الطب والبيطرة فقد استخدموا العقاقير والكي والحجامة والعسل واستعملوا السحر والرقى والتعاويز للملسوع وإخراج الجن ومن أشهرهم الحارث بن كلده[2].

كما كان لهم إلمام ببعض الشئ عن الملاحة وصناعة السفن كما ورد عند طرفه بن العبد .

---

[1] د . الشعر الجاهلي ، د. يحي الجبوري ، ص ٩٦ ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٣م .

[2] تعلم الطب في بلاد فارس واليمن ويقيم في الطائف ، توفي ١٣ هـ .

كأن خروج المالكية غروة خلايا سفين بالنواصف من درِ

عدوليه أوهن سفين ابن يامن بحورها الملاح طوراً ويهتدي

ولم يكن للكتابة حظ عند العرب و أشهر من عرفها هو مرامر بن مره وهو من أصل الأنبار ويقال أن الخط عندهم يرجع إلي الخط النبطي وهنا يتضح لنا أن هنالك بعض المناطق قد حظيت بكم أكبر من العلوم وأميزها ، ويرجع هذا إلي طبيعة المنطقة كما هو الوضع في منطقة اليمن والمناذرة والغساسنة فقد أقاموا السدود وعمروا المدن كما ورد في كتب التاريخ .

ولقد ذكر الدكتور يحي الجبوري في كتابة (للعرب بعد ذلك حكم بالغة تمثل خبرتهم في الحياة وتجاربهم فيها ، وقد صاغوها بعبارات قصيرة مأنوسة ، وكان الناس – ما زالوا يتمثلون بها ، لأنها تفصح بصدق عن مكنونات النفس البشرية بعامة . وقد حفظت كتب الأمثال طائفة جليلة منها ، ولعل خير ما ألف من كتب الأمثال : كتاب العسكري " جمهرة الأمثال " والميداني " مجمع الأمثال " والزمخشري " المستعصي في الأمثال " هذا غير ما جاء عند الشعراء من حكم شاعت ومارت مما يستشهد بها الناس في كل زمان)[1] كحكم زهير في قوله [2]

من هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

وفي حكمة لبيد [3]

وأكذب النفس إذا حدثتها إن صدق النفس يزري بالأمل

ومن حكمة طرفة [4]

أرى العيش كنزاً ناقصاً كل ليلة وما ينقص الأيام والدهر ينفذ

---

[1] الشعر الجاهلي ، د . يحي الجبوري ،دار المعارف ، ص ٩٦ .

[2] ديوان زهير برواية الأصمعي ، دار الفكر، ص ٣٥ .

[3] البيان والتبيين ، الجاحظ ، ط ٤ ، دار شركة الكتاب اللبنانى ، ١٩٦٨م ، ص ٨٧/٢ .

[4] ديوان طرفة ، تحقيق د . علي الجندي ، دار الفكر العربي ، ص ٥٤ .

المبحث الثاني
الحياة الاقتصادية

لقد شهدت شبه الجزيرة العربية تفاوتاً في طرق العيش فكما لاحظنا انقسام الحياة الاجتماعية نجدهم قد انقسموا إلي فئتين في الحياة الاقتصادية فالبيئة الاقتصادية للبدو سيطرت عليها حياة الصحراء والترحال والتجوال فهم يعتمدون على قطعان الماشية ويفرضون سلطانهم على المراعي الخصبة والأراضي المزروعة ويمارسون الصيد وحراسة القوافل التجارية وكان التفاوت في العيش داخل القبيلة الواحدة واضحاً بين سادتها الذين يملكون السلطة وبين بقية أفرادها الذين تقع عليهم كثير من الأعباء وهذا يشمل المناطق الشمالية والشرقية ووسط شبه الجزيرة العربية رغم ما حظيته الزراعة من وجود في بعض الحواضر الشمالية كالطائف ويثرب وخيبر ووادي القرى وتيماء .

أما أهل الحضر فقد عرفوا أركان العمران الثلاثة التجارة والزراعة والصناعة فقد تميزت الجهة الجنوبية بالأراضي الخصبة والصناعة البسيطة والتجارة ، فنجد أهل اليمن قد مارسوا التجارة شمالاً وجنوباً وتنتظم لديهم مواسم الزراعة وتتنوع المحاصيل فشيدوا القصور والبيوت الفاخرة ووفروا مفاخر للحياة

أما الشام فقد وثق أهلها علاقاتهم مع الروم فبرعوا في التجارة وأدخلوا الكثير من ممارسات الفرس كما حدث مع أهل العراق .

أما مكة فنجدها قد أخذت طابعاً متميزاً من بين المدن فهي أكبر وأعظم المدن التجارية وللموقع دور كبير في هذا التميز فهي ملتقى طرق للقوافل التجارية وكانت تقام بها أكبر وأعظم الأسواق التجارية كسوق ذي المجاز ، ومجنة وعكاظ الذي كان سوقاً تجارياً وأدبياً فقد عرف فيه الشعر والخطب ويتم فيه فدي الأسرى ودفع الديات ومسابقات الخيول والألعاب والمفاخرة .

أيضاً هناك أسواق كثيرة حوتها منطقة شبه الجزيرة العربية منها سوق ذمة الجندل وسوق خيبر ، وسوق الحجر باليمامة وسوق حضرموت وسوق صنعاء .

وهنا يتضح لنا أن التجارة كانت سيدة الموارد الاقتصادية فهذه (القوافل التجارية كانت تحمل الطيب والبخور واللبان والجلود والثياب والتوابل الهندية ، كل هذه البضائع من اليمن والهند وأفريقيا الشرقية وتأتي من الصين بالجلود والمعادن والحرير ، ومن الحبشة الرقيق والصمغ والعاج ، ومن العراق وفارس التمر والشعير ويحملون كل ذلك إلي بلاد الشام ويعودون حاملين الأسلحة والقمح والزيوت والخمر والثياب القطنية والكتانية والحرير وغيرها)[1].

–لم تجد الصناعة الاهتمام فقد استخف بها العرب واحتقروا من يمارسها ، فهم أبعد الناس عنها– كما يقول ابن خلدون[2] ، ومع ذلك مارسوا بعضاً منها كالحدادة والنجارة والخياطة والصياغة في قرى مكة ويثرب والطائف ما يكفي حاجتهم فقط . أما أهل اليمن فصنعوا السيوف والرماح والدروع ، أما أهل البحرين فاشتهروا بالرماح وسروج الخيول والدروع .

الحياة السياسية :

اختلفت السياسة بين البدو والحضر كسابقتها فالوضع السياسي عند البدو تأسس على النظام السائد وهو النظام القبلي فالقبائل البدوية منتشرة في أرجاء شبه الجزيرة العربية ولا توجد روابط بينهم فكل واحدة تقوم على أمرها بتقاليدها وقيمها الموروثة . والقبيلة مكونة من مجلس يضم رؤساء الأسر يديرون شؤون قبيلتهم بطريقة مستقلة ويرتبط أبناءها بالنسب والدم هذا هو الوضع في تلك الأصقاع وشعبها يتكون من أفرادها ولهم حرماتهم التي يدافعون عنها ويحمونها وكانت تسمى (الحمى) وهي بمثابة الحدود للقبيلة عليها الدفاع وعدم السماح بالإعتداء عليها لأن في ذلك اعتداء على شرف القبيلة ونجد أفرادها متساوون ومتعاونون في الحفاظ عليها ولا يدينون بالطاعة إلا لرئيس وزعيم القبيلة الذي يقودهم في الحروب والمفاوضات والأحلاف ويستقبل ضيفهم ويشرف على شئونهم في الرخاء والجدب لذلك كان (يختار زعيمها من ذوي الشخصيات القوية الممتازة وتتحقق فيها صفات خاصة أهمها الوقار والهيبة وسداد الرأي وبعد النظر والطموح والحزم والإيثار

---

[1] الشعر الجاهلي ، د . يحي الحبوري ،دار المعارف ، ص ٨١ – ٨٢ .

[2] مقدمة إبن خلدون – عبدالرحمن بن خلدون – المكتبة التجارية – مطبعة الأزهر ١٩٣٠م ص٦٨ .

والتضحية والغنى والجود والسخاء والشجاعة والقوة والحلم والصبر والرزانة والثبات فلا يفرح للخير ولا يكبو للضر . ولا تبطره النعمة . ولا تضمه الشدة قد أحكمته التجارب ، وله خبرة بطبائع النفوس ، وحسن معالجة الأمور ، ويتسم بالإخلاص والأمانة والوفاء والسهر للمصلحة العامة ، والعمل على إعلاء كلمة القبيلة ورفع شأنها)[1].

أما الأفراد فقد اعتمدت عليهم القبيلة في قوتها وحياتها وشرفها وهيبتها فعلى الفرد حقوق وواجبات عليه أن يقدمها للقبيلة والعكس فعلى القبيلة مساندته والشد من أزره في السراء والضراء لذلك نجد قوة الصلة بين أفراد القبيلة الواحدة فنتج التعصب للدم فعلى الفرد الوقوف مع أخيه من القبيلة في جميع الأوضاع ظالماً أو مظلوماً .

ولشدة الاهتمام بالصلة والنسب نجد العربي يعرف معرفة تامة بنسبه ونسب قبيلته وظهر هذا في أشعارهم ومع الحرية والعصبية نجدهم قد ألفوا حياة الظعن والتجوال وانشغل فكرهم بين الجدال والقتال كما قال د . يحي الحيوري (وحياة القبائل بعد ذلك سلسلة حروب ومنازعات تنشب لأسباب ذات خطر أو ليست بذات خطر ، وأهم خصوماتهم على مرعى السوام ومواقع المياه ، والغزو الذي اتخذوه وسيلة من وسائل العيش ، والثأر الذي لا يغسل عاره إلا بالدم ، وبذلك كانت حياتهم عمادها الحروب والغارة والاستعداد توقعاً للخطر) ، وقد سميت حروبهم ووقائعهم بأيام العرب لأنهم يتقاتلون نهاراً فإذا جاء الليل حجزهم وفرقهم ، فإذا حل اليوم الثاني عادوا إلي القتال .

(وقد كانت الأيام هذه مادة غنية للشعراء .... فكان للشعر صدى واضحاً لها واحيا وقائعها ووصف هولها وبكى قتلاها وتوعد الخصوم وطالب بالثأر وافتخر بالنصر ، وعيره بالهزيمة)[2].

ومن أشهر حروبهم حرب البسوس وداحس والغبراء وحرب ذي قار بين الفرس وبني بكر لردعهم عن أراضيهم .

---

[1] في تاريخ الأدب الجاهلي ، د . علي الجندي ، ص ٦٥ ، دار المعارف ، ١٩٨٤م .

[2] الشعر الجاهلي ، د . علي الجبوري ، ص ٤٧ – ٤٨ .

أما عند الحضر فقد اختلفت سياستهم فقد عرفوا النظام الملكي وكان للشورى حضور كبير في ممارسات الحكم ولكن لم يتبق لتلك الحواضر المنظمة في الجاهلية الثانية إلا ثلاث ممالك مملكة المناذرة والتي قامت في منطقة العراق المحمية م قِبل الفرس ومن أشهر ملوكها قبيل الإسلام النعمان الثالث وبن منذر الرابع الذي عرف بأبي قابوس وامتد نفوذه إلي البحرين وعمان ومدحه كل من النابغة ولبيد .

أما مملكة الغساسنة فقد نشأت في منطقة الشام وكانت تحميها الدولة الرومانية فقد كانت عينهم على الفرس أسسها جفنة بن عمرو بأعداد كبيرة من عرب الجنوب مثل قبيلة جزام وكلب وقضاعة وأشهر ملوكها الحارث بن جبلة وابنه المنذر بن الحارث وآخر ملوكها جبلة ابن الأيهم إذا أسلم في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ولكنه ارتد إلي النصرانية وهرب إلي القسطنطينية ومات في عام ٢٠هـ .

وأخيراً مملكة كندة فهي تقع في شمال نجد وكان ولاؤها عربياً خالصاً وترجع أصولها إلي اليمن الجنوبية حيث اتصلوا بملوك حمير فعهدوا عليهم بعض الأعمال إلي أن ولوهم على قبائل معد وخضعت لهم كثير من قبائل نجد منها بكر وتغلب إلي أن نشبت حرب البسوس وزادهم الأمر سوء بفتح الأحباش لليمن وسقوط دولة حمير .

الحجاز كانت تحكمها طائفة من وجهاء القوم وفي ذلك يقول الدكتور جواد علي (يلاحظ أن بعض المدن والقرى ، ولا سيما في الأجزاء الغربية مثل مكة لم يكن عليها ملك إنما يحكمها عدة رجال ، قسمت الأعمال بينهم . ولا يلقب زعيمهم والمنفذ فيهم بلقب ملك " وللملأ " وهم أصحاب الحل والعقد في البلد والحكم في الناس على وقف العادات والأعراف والقوانين الموروثة ، ويكون لهم في البلد مجتمع خاص يكون ناديهم ومقر حكمهم يسمى بـ " دار الندوة " في مكة وبـ " المزود " عند أهل اليمن ويمكن القول إنه مجلس ذلك الزمان " برلمان " في هذا العهد وإن نظام الحكم في أمثال هذه المدن هو ما يقال له" حكومات المدن " عند المؤرخين الغربيين)[1].

[1] تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد على ، دار المجمع العلمى العراقى ، ج ٣ ، ١٩٥٦م ، ص ٢٣٠ .

اما يثرب فقد كانت واقعة في بئر النزاع بين الأوس والخزرج ، فقد أراد كل فريق منهم أن يكون الحاكم من رجاله ، وبعد جدل الحرب استقروا على أن يكون الحكم بينهم بالمناوبة فيحكم كل زعيم من زعماء الحي الواحد ، ويليه في العام الثاني زعيم الحي الثاني وشاءوا أن يكون " ملك " لقب الحاكم عندهم . وبذلك يكونون قرضوا لهم نظام التناوب في الحكم ، فيكون لهذه المدينة ملك كل عام .

وهنا تتجلى لنا تلك العلاقة ما بين صور الحياة المختلفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والفكرية واختلافهم ما بين ممارستها عند البدو والحضر فطبيعة المنطقة التي يعيشون فيها هي التي تفرض على العربي التأقلم معها فكان الإختلاف .

المبحث الأول
الشـعـر الجاهلي والعوامل المؤثرة فيه

الشعر هو الكلام الموزون المقفى المعبر عن الأخيلة البديعة والصور المؤثرة البليغة . هكذا عرفه العرب كما عرفه اليونان والفرنجة فقالوا الشعر شيء تجيش به صدورنا فنقذفه على ألسنتنا.

وإذا نظرنا إلى الشعر وجدناه يحمل المعاني الفطرية التي اشترك فيها البدوي والحضري كالأخبار الصادقة ووصف المشاهد وترجمة الوجدانيات كما يمليها الخاطر والحرص على مطابقته للواقع والحقيقة فالجاهلي صادق في كلامه وفي حياته وفي هجائه ومدحه.

ومن الملاحظة أن العرب أبدعوا في فن القول وأجادوه فأحسنوا التعبير عن العواطف وبسطوا المعاني فلم يكن من طبعه المبالغة فنجد أن الساميين أبلغ العرب وأكثرهم قدرة على الشعر لاتساع لغتهم وملائمة بيئتهم وقوة عصبيتهم وكمال حرياتهم، وقوة قريحتهم وخلو جزيرتهم مما يصد الفكر عن التأمل ويعوق الذهن عن التفكير، فهم بين الصحراء والسماء في فضاء من اللانهائي يملأ الذهن والنفس خيالاً وروعة. وهم فوق ذلك ذو نفوس شاعرة وطباع ثائره ،يستفزهم الرعب والرهب ، ويزداد فيهم الطرب والغضب، فهم لم يتركوا شيئاً يحول في النفس أو يقع تحت الحس إلا نظموه. فكان الشعر ديوان علومهم وحكمهم وسجل وقائعهم وسيرهم، وشاهد صوابهم وخطأهم، ومادة حوارهم وسمرهم وكانوا كلهم يرونه[1].

والشعر عندهم اقتصر على أغراض وجدانية تغمرها الذكريات، فيستهلون قصائدهم وخاصة في الطوال منها بذكر الديار الخالية والوقوف عليها للسؤال أوالتحية أو البكاء وينتقلون بعدها إلى ذكر ناقتهم ويصورون سرعتها ومن ثم يطرقون

[1] تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزياد ، ط ٢٨ ، دار النشر الثقافية بيروت ، ص ٣٨ – ٣٩ .

باب المدح والفخر فنجد القصيدة الواحدة قد حوت عدد من الأغراض. واللغة في الشعر الجاهلي قوية في ألفاظها إذا كان التعبير حقيقياً أو مجاز خاصة وإن شعراء البادية الذين ترعرعوا في قلب البادية بعيدين عن التمدن والتحضر فقوة الشعور والتأثر بالطبيعة تهدي الشاعر إلى اختيار ألفاظه وإخراجها من معدن واحد فتأتي محكمة التركيب متماسكة الأطراف ونجد في التشبيهات والكنايات صور واضحة لحياة الشاعر وطبيعة أرضه فهي مستمدة من الصحراء بنباتها وحيواناتها مخلوطة بعاداتهم وتقاليدهم وعقائدهم[1].

ومعاني الشعر الجاهلي لا تخلو من الغموض والسبب هو استعمالهم للألفاظ الغريبة والحوادث التاريخية إلا بعد دراسة حياتهم وأخبارهم[2].

ونجد أن معظم مؤرخي الأدب يرجحون أن الشعر مر بثلاث مراحل:-[3]

أولاً:-

كان ما بين النثر والشعر ظهرت فيها عبارات مسجوعة متساوية الأجزاء ولكن دون وزن والسجع في جوهره أقرب إلى الشعر من حبل الوريد[4].

ثانياً: -

---

[1] العصر الجاهلي ، شوقي ضيف ، ط ٢٤ ، دار المعارف ، ص٨٧ .

[2] الشعر الجاهلي السياق والملامح، د. صلاح رزق ، ص٦٣.

[3] في تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص١١٢.

[4] تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزياد ، ص ١٩٦.

تحولت تلك العبارات المسجوعة إلى أبيات شعرية موزونة مقفاة ،وأبسط الأوزان وأقدمها الرجز الذي يتفرد فيه كل بيت بقافية خاصة. وهو أشبه بالسجع إلا أنه موزون.

ثالثاً:-

وهي أخر مرحلة لتطويره حيث تحولت أبيات القصيدة القليلة إلى قصائد تامة تتسم بوحدة الوزن والقافية.

ولا يفوتنا القول أن التشبيهات التي لجأ بعض الشعراء إلى استعمالها خرج بعض منهم عن المعتاد بخروج كلامهم عن السلاسة والسهولة ومن أشهرهم الأعشى والمهلهل ويرجع ذلك إلى الظروف الشاذة التي عاشها المهلهل بعد مقتل أخيه كليب وهذا الشذوذ لا يقاس عليه بقية الشعراء فقد كان معظمهم في الاتجاه العام وهو الصدق والاعتدال والالتزام بالحقيقة[1]

خصائص الشعر الجاهلي :-

تعددت الكتب والمجلات التي تبحرت في خصائص الشعر الجاهلي وتنوعت الأحكام التي صدرت عليه فمنهم من وصفه بالجحود ومنهم من عاب عليه خلوه من الشعر القصصي والتمثيلي وذهب البعض إلى خلوه من الوحدة الفنية واضطراب معانيه التي لا تتوافق مع الحياة البدوية ومنهم من لم يطرب له لعدم فهمهم لمعانيه وكثرة هذه الآراء أدت إلى ظلم هذا الأدب والإجحاف في حقه رغم ما يحويه من انعكاسات للحياة العربية الأولى ومظاهر التفكير فيها وقويت عاميته بعد ظهور القرآن الكريم ولقد حاول الكاتب محمد عبد المنعم الوقوف على خصائص الشعر

---

[1] العصر الجاهلي شوقي ضيف، ط ٢٤ ، ص٢٠١.

الجاهلي محاولاً مجاراة هؤلاء النقاد المتعصبين على الشعر الجاهلي القديم وعلى مدى يصح أن نسير في الدفاع عنه وقد لخصت هذه الخصائص في الآتي[2]:-

١- البساطة والصدق وعدم التكلف وهذا ما سلم به النقاد ويدعون إليه النقاد والمحدثون في الأدب الحديث، بعد أن بعد الشعر عن البساطة والإخلاص وهما اللتان كانتا داعما له وهذا ما ذكره الدكتور شوقي ضيف[1].

٢- كما تميز شعرنا الجاهلي بالزهد في المحسنات وألوان التزين الفني وهذه السمة غالبة عليه فقد عانت الأشعار الحديثة العربية منها والإنجليزية والفرنسية من الزخرف البديعي[2].

٣- أما متانة الأسلوب وقوته وجزالته فقد فرضتها البيئة العربية على حياة الشاعر ومن ثم على شعره. أما في العصور التي تلت العصر الجاهلي فقد انقسم الأدباء والنقاد ما بين مؤيدين ومعارضين ومنهم من اتخذ موقفاً وسط

٤- كما اختص الشعر الجاهلي بالسهولة وأيجاز المعني وهذا ما عانت منه العصور التي تلت العصر الجاهلي فقد ضربوا باب الإطناب وشتى أنواع التصوير فرأى بعض النقاد أن في هذا بلاغة وبيان والبعض الأخر رأي فيه جمال فصاحة وروعة تصوير ومنهم من حرر مواضع

لهذا الإطناب والإيجاز ومن رأيى أن أساس الجودة الفنية أن يؤدي الشاعر معانيه في رفق ويسر.

---

[2] تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزياد ، ص٢١٩.

[1] الشعر الجاهلي السياق والملامح، د. صلاح رزق ، ص١٩٦.

[2] تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزياد ، ص٢١٩.

من كل ما سبق يتجلي لنا بروز الطابع البدوي في شتي القصائد الجاهلية وأثر الحياة الجاهلية وبيئتها وتشتمل هذه الآثار في الآتي:-

(أ) وصف حياتهم البدوية وذلك من وصف للناقة والمدن والديار القديمة فالشعر يجب أن يصور حياة الشاعر وبيئته وعصره.

(ب) بداية القصائد الجاهلية بذكر وصف للديار والإطلال ولم يشذ عن ذلك إلا القليل منهم عمرو بن كلثوم في معلقته التي بدأها بذكر الراح.

(ج) طابع الغيب والوحشة فهو من موروثات الشعر الجاهلي ويرجع هذا إلى أثر جفاف البيئة في نفوسهم وعقولهم.

العوامل المؤثرة في الشعر الجاهلي:

يرتبط الشعر بصورة عامة بالحياة الإنسانية فيتأثر بمؤثرات الحياة المختلفة نتيجة لتأثر الشاعر بها فالشعر هو التعبير الحسي لنفس الشاعر الذي يتأثر هو بالتالي بالعوامل الطبيعية من حوله من طبيعة وبيئة وعقائد وأنظمة اجتماعية وتقلبات سياسية ولمعرفة أي نوع من أنواع الأدب يجب الإلمام بالعوامل المحيطة به للتوصل إلى التفسير الصحيح للشعر هذه الحقبة وهذه العوامل تتمثل في الآتي:

- الفطره: تختلف البشرية في مقاييس الحس والشعور ووصف الطبيعة فالشعوب العربية أوفر حظاً فهم أقوى الأمم الشاعرية ويرجع هذا الى صفاء قرائحهم واستغلالهم وهدوء صحرائهم وحننيهم الدائم إلى الديار وهم بين الترحال. على نقيض الأمة الرومانية فقد برعت في الحرب والسيادة والتشريع.

- الطبيعة : يقول سعيد إسماعيل شلبي[1] أن الطبيعة من أهم مصادر الإلهام للشعراء، يلجئون إليها ومعهم مشاعر الأنصياع أو الخوف أو الرجاء فيزاوجون بين أنفسهم والطبيعة فينتج شعر يمتلك هذه النفوس ويلائم ما تمر به من صحة أو مرض، ومن غني أو فقر، وبصورة ما تجد من راحة وسرور، أو من ضيق وتبرم، ويحكي دخائلهم وما يتبع فيها من اطمئنان ورضا أو قلق وسخط فهي تمثل الحياة المادية والمعنوية وتنتج للسكان سنن العيش والنظام الاجتماعي فالمناظر هي التي تروى ذوق أبنائهم وتغذي خيال كتابهم وشعرائهم وهذا الامتزاج الشديد في البيئة دفعهم إلى عبادة بعض منتجات الطبيعة كالنخيل والصخور والنجوم وكذلك تأثر أدبهم بها فقد اختلف الشعر من إقليم إلى آخر حسب طبيعة كل إقليم فتستعبد الشاعر فتظهر هجائه وغزله ومدحه ورثاءه وسيطرة الاخيله عليه فنجده قد وصفها في بردها وحرها وبرقها ومطرها وسهولها ورمالها وذكر طيورها وحيواناتها كما وصف ليلها بطوله حيث قال امرؤ القيس:-

فيالك من ليلٍ كأن نجومه بكل منها والفتل شدت يذبل*

الخصائص البشرية:

لقد اتسم كل جنس بسمات خاصة تميز عن الجنس الآخر وهذه السمات تظهر فى الإنتاج الأدبي فيختلف الأدب اليوناني عن الأدب الأوروبي في المذهب والخيال والغرض فلكل جنس خصائص تميز شعره عن الجنس الآخر.

[1] الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، سعيد شلبي ، د ط ، د ن ، ص ٢٣٦.

حضارة المجتمع:

تختلف حضارة كل مجتمع عن الآخر فحضارة الحضر تلائم حياتهم وتلك الألفاظ التي يتناولونها تلائم بيئتهم فهي تمثل الدقة والعذوبة والوضوح وحسن الاستقصاء أما البدو فقد اختلفوا في اختيار ألفاظهم عن الحضر فجأوا بما يلائم حضارتهم وبيئتهم الصحراوية.

العلم:

من أخطر ألوان الحضارة فهو يؤثر على نمو وترقية العقول وتقوية الشعور وتنقية التصور وفتح أبواب جديدة للأدب ونجد للتاريخ اثر كبير في هذا فهو مصدر ثقافة الأديب فهو يستمد منه ما يكتب وهنا يتجلي منها فضل العلم في ترقية أسلوب اللغة.

الدين:

يظهر في الأخلاق والعواطف ويظهر أثره في الأدب وذلك بظهور السجع في الأدب الجاهلي والذي جرى على لسان الكهان ويعتقد أنه كان بداية الشعر العربي.

الحياة السياسية:

لها بصماتها على فنون الأدب فهي مصدر انحطاطه أو ازدهاره فإذا كان الشاعر في بيئة بدوية نجد لذلك انعكاس في شعره فتتلمس القبلية والعصبية والحروب الدامية في أبيات شعره والعكس إذا عاش حياة التمدن والتحضر .

اتصال الشعوب:

ويظهر في الشعر الجاهلي الفصيح الذي صور لنا الوقائع والحروب في الجاهلية والتي أطلق عليها أيام العرب فتحدثه عن هذاالاختلاط بين الشعوب التى حملت كل منها خصائص بيئتها كما حدث بين الساميين والاريه فظهرت معاني جديدة في الشعر العربي.

التقاليد والاحتذاء:

صفة التقليد فطريه عند الإنسان ولولاه لما تكلم أو تعلم فالأجيال تقتبس من بعضها البعض الأعراف والتقاليد والعادات والعلوم والفنون فالأديب يقتدي بمن سبقه في هذا الدرب إذا كان شعراً أو نثراً فهناك ثوابت لهذه الفنون لا يمكن تغييرها أو تجاهلها.

المبحث الثاني

روايـة وتدوين الشعر

لقد لجأ العرب إلى استعمال هذه العبارة لتدافعها الوظيفي مع ري الماء فقد كانوا أقرب الناس إلى سماع الشعر وروايته فحين تلتقي القبائل عند مورد الماء تنتظر كل قبيلة دورها في هذا الأثناء تدندن كل واحدة منهم أروع ما لديها من أشعار فيقوم الروي بدورهم بنقلها إلى قبائلهم

أما الأصل اللغوي لهذه الكلمة الري فهي ضد العطش، والراوية مزادة الماء والرواية الدابة التي تحمل عليها الماء أو يجتلب من مصدره... ثم أجاز لفظ إلى دلالة الحمل مطلقاً، ومنه حمل الرجل شعر الشاعر، فهو راويته أو راوية.

فرواية الشعر في العصر الجاهلي كانت هي الأداة الطبيعة لنشره وذيوعه فقد كثرة المجالس الأدبية في ذلك العهد ويرجع هذا إلى كثرة المناسبات التي تستدعي قيامها ولقد كان الأدب من أهم مقومات تلك المجالس فالتزم الناس بحضورها وحبهم وشفقهم بالشعر فيكونوا أما لاقين له أو متمتعين بسماعه أو رغبة في حفظه لتغذية مواهبهم الأدبية لذلك وجد الشعر اهتمام عن طريق الاستماع أو المشافهة والرواية[1].

أيضاً يمكننا القول أن من الدوافع التي جعلتهم يعتمدون على الحفظ والرواية عدم تفشي الكتابة ولا ننكر وجودها ولكن ليس لدينا دليل مادي على أن العرب القدامة قد استخدموها ولكن من المعروف وصول الخط النبطي عندهم منذ ذلك الوقت ولكن تكمن الصعوبة في الوسائل المستخدمة لكتابة مثل الحجارة والجلود والعظام وسعف

---

[1] تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام، جواد على ، ص٢٢٤.

النخيل لذلك وجدنا أن الكتابة قد انحصرت في الحواضر الكبرى ودليل ظهور الكتاب أعجاب الشعراء بها وظهورها في طيات أبيات شعرهم[1].

وقول زهير بن أبي سلمي:

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم بحوماته الدارج فالمتلثم

دار لها بالمرقمتين كأنها مراجع وشم في نواشر معصم

ورغم كل هذه المزاعم. فإن غياب البراهين المادية عن ثبوت الكتاب عند الجاهلين مازال قائم فهم لم يفكروا في استخدامها لحفظ أشعارهم عن تنظيمها أو محاولة نقلها ووضعها في دواوين لتصبح ركيزة الأجيال القادمة[2]فالقرآن الكريم على قداسته لم يجمع في مصحف واحد إلا بعد وفاة النبي (ﷺ) وبعد مشاورة بين أبي بكر والصحابة ونجد في السيرة النبوية أنه في عهد النبي (ﷺ) ربط فداء أسري بدر بأن يقوم القرشيين بتعليم كل فرد منهم لعشرة من أبناء المسلمين (القراءة والكتابة) كل هذا يؤكد أن الرواية كانت في المقام الأول عند الجاهليين في الفترة القرنيين الخامس والسادس فيحفظونه في ذاكرتهم من التلف وتتناقله الأجيال وهذا يؤكد تلك الرواية بأن الشعر ينشد في المحافل والأسواق المشهورة فيتلقاها السامع ثم يسعي إلى نقلها شفاهة إلى أن تأخذ حظها من الشهرة هذه طريقة أما الطريقة الثانية فتعتمد على أن يتخذ كل شاعر روئياً له يتميز بقوة الذاكرة وسرعة الحفظ وميله للشعر ليرتشف منه إلى أن يصبح أستاذاً بدوره ومن أشهرهم زهير بن أبي سلمي الذي كان راوياً لشعر أوس بن حجر التميمي ثم أخذه عنه ورواه أبنه كعب

---

[1] المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، د. زبير دراقي ، ص١٨٨.

[2]الشعر الجاهلي السياق والملامح وأهم القضايا وأبرز الإعلام، د. صلاح رزق ، ص١٥٣.

ونجد أن رواية الشعر مختلفة عند كل شاعر حسب عاطفته وميوله وما يتعشقه من أغراض فإذا كان ميالاً إلى الغزل والحب وألوانه ترك الحماسة وإذا كان ملتهب بالطبيعة والترحال مال لهذا النوع تاركاً. ما عداه فهو يوافق حاله ومنهم من كان مهتماً بشعر الأخبار والأيام والأنساب فنبع نوع جديد من الرواية[1].

أما الشعراء الصعاليك فإن تميز عيشهم وحياتهم جعل لهم طابع متميز في رواية شعرهم فهم يرون أشعار بعضهم لبعض ويحفظونه[2].

وبالإضافة إلى كل هؤلاء هناك فئة من الرواة اتخذت من الرواية حرفة لهم رغبة في الكسب والتقرب من ذوي السلطة وهؤلاء و نجدهم لا يقتصرون حفظهم لشاعر واحد أو قبيلة واحدة

التـدويـن:

لقد اعتمد العرب في سبل حياتهم على التجارة لرفع وضعهم الاقتصادي فانتظمت رحلاتهم التجارية (الشتاء والصيف) وهذه المعاملات التجارية لا يمكن أن تتم دون وجود مكاتبات وعهود مدونة بالإضافة إلى أن رحلاتهم روايته بزعم أن شاعراً في الجاهلية ألقي قصيدته من صحيفة مدونة، وإنما كانوا ينشدون شعرهم إنشاداً حتى من كان يعد قصيدته في حول أو أقله كان يعتمد على حافظته الذهنية ثم ينشدها فيتعلمها عنه الناس وهنا يمكننا أن نقول أن الكتابة كانت متواجدة ولكنها نادرة وهذا ما ينطبق على العصر الجاهلي خاصة بين سكان البدو والصحراء وأن عدم إلمامهم بالكتابة وندرتها يرجع إلى طريقة حياتهم وسعيهم وراء الرزق والقوت

---

[1] تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، جواد على ، ص٣١٤.

[2] العصر الجاهلي، شوقي ضيف ، ص٢١٥.

الذي كان يمثل شاغلهم الأول وليس لديهم فراغ يجلسون فيه لتعلم القراءة والكتابة أيضاً، صعوبة وسائل الكتابة يمكن أن يكون لها ضلع في عدم انتشارها

ولكن مما لا شك فيه أن[1] (بعض القبائل قد قامت بجمع آثار أدبائهم وتدوينها بدليل ذكر كتب تحمل أسماء بعض القبائل وتحتوي على أخبارهم وآثارهم، مثل كتاب قريش وكتاب نظيف وكتاب تميم وقد ورد ذكره في المفضليات)[2].

ونستطيع أن نقول أنه على الرغم من اهتمام القبائل بشعرها الجاهلي الذي يحوي مفاخرها وأمجادها ومثالب خصومها فأنها لم تعمد إلى تدوين كل ما قيل في تلك الفترة وظل هذا الوضع حتى فترة ظهور الإسلام

قيمة ما تم تدوينه من الشعر الجاهلي:

لقد استأثر الشعر على الجاهلين فقد فضلوه على النثر وبقية الفنون فبرعوا فيه وعبروا من خلاله عن شؤونهم وشجونهم وأفراحهم وترحالهم وحروبهم وسلمهم وهذا القليل من الشعر الذي وصل إلينا ذو فائدة كبيرة فمن خلاله يتم معرفة أحوالهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية يمكننا أن نلخص هذه القيمة في اثنين[3].

القيم التاريخية:

إذا نظرنا إلى الشعر الجاهلي نجد قد نبعت لنا منه تلك القيم التاريخية باعتباره أهم مصادر تاريخ تلك الفترة والوسيلة الوحيدة لمعرفة حياة الجاهلين لغياب التاريخ

---

[1] تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي النجار الجندي ، ج١ ، ص٦٣.

[2] الأغاني ، للاصفهاني، ج ٦ ، ص ٩٤.

[3] الاغانى للاصفهانى ، ص ٤٧-٤٨.

الحقيقي لهذه الفترة والقائم على النثر والكتابة إذ لم يكن لهما شأن في ذلك الوقت لذلك أطلق على الشعر الجاهلي ديوان العرب أي تاريخهم الذي حوي كثيراً من المعلومات المتعلقة بحياتهم كما حوي الشعر الجاهلي على الوصف الجغرافي لشبه الجزيرة العربية وعلى أراضيها الصخرية الجافة وعلى واحاتها المتناثرة كما تطرق الشعر إلى حياة البدو الاجتماعية وأخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وأيامهم وأنسابهم كما لمح على حياتهم السياسية والاقتصادية ومعتقداتهم الدينية وطقوسهم الوثنية[1].

وهكذا كان الشعر بديلاً عن كتب التاريخ فقد حوي على أدق المعلومات لذا أصبح المصدر الرئيسي لأحوال العرب الجاهلين لذا تعاظمت قيمته التاريخية بتوارثها الأجيال.

القيمة الفنية:

لقد أحتوي الأدب الجاهلي على جميع التراكيب والصور الجمالية فقد عكس ميل الجاهلين إلى أسلوب الخطابة والبساطة في المعاني والأخيلة وصدق العواطف ودقة التصوير وجاز الألفاظ ومتانة التعبير وأتباعهم هذه الأساليب في تنظيم الشعر جعل له خصائص تميزه عن بقية الأشعار التي كتبت في العهود التالية للعهد الجاهلي وهذه الخصائص والسمات تتمثل في:

(أ) تقسيم البيت على شطرين.

(ب) القصيدة في أبياتها تشترك في بحر واحد وقافية واحدة في صدر وعجز البيت.

---

[1] المفيد الغالي في الأدب الجاهلي، د. زبير دراقي ، ص١٥٧.

(ج) انعدام الوحدة العامة إذ يمكننا أن نقدم أو نؤخر في الابيات دون إلحاق الضرر بالمعاني.

(د) قيام الأشعار التي تلت العصر الجاهلي على نفس نسخ الجاهلية ففي صدر الإسلام احتذوا حذوا الجاهلين فتبعهم بقية الشعراء في عصور النهضة.

رأي النقاد فيما دون من الشعر الجاهلي والرد عليهم:

لقد سعي عدد من النقاد المستشرقين والعرب للتشكيك في صحة الشعر الجاهلي معتمدين على الآتي:

أولاً: إن لغة الشعر المنسوب إلى الجاهلية هي لغة القرآن أي لغة عدنان وبلهجة قريش والمعروف أن لغة عدنان الشمالية تختلف عن لغة حمير الجنوبية بالإضافة إلى أن أكثر الشعر كان من اليمن وليس من قريش فلو كان هذا الشعر صحيحاً لمثل لنا تلك الفوارق اللسانية ولما جاء في لغة واحدة مجرد من ظواهر اللهجية وخاضع لقواعد نحاة البصرة[1].

ونرد على هذا الاتهام بأن اللغة الأدبية أو الفصحى، هي لهجة قريش التي نزل بها القرآن الكريم. كانت سائدة في الجاهلية الأولى والثانية لأسباب دينية واقتصادية معروفة. والشعراء على اختلاف لهجاتهم ومواطنهم اتفقوا على نظم أشعارهم العربية باللغة الأدبية التي يفهمها أهلهم مثلما يفعل شعراء العرب المعاصرين الذين يتخلون عن لهجاتهم المحلية ويعبرون باللغة الفصحى[1]. ثانياً: إن الشعر الجاهلي لا يمثل حياة الجاهلين الوثنيين والنصارى سواسية وإنما هو شعر

---

[1] في تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص١٤٦.

[1] العصر الجاهلي ، شوقي ضيف، ط ٢٤ ، ص٩٤.

مصبوغ بصيغة إسلامية بحتة في ألفاظه وصورة ومعانيه مما يدل على أن قائليه هم المسلمين ونسبوه إلى الجاهلية.

ثالثاً: وذهب بهم التشكيك إلى ربط عدم وجود اكتشافات أثرية في اليمن ترجع إلى القرن الثامن والتاسع قبل الميلاد لإثبات وجود نشاطات شعرية عند العرب المتحضرين فكيف يقدر العرب البدو أن يأخذوا الشعر من بلاد اليمن.ونبطل قولهم هذا بأنه لا توجد علاقة بين الشعر ودرجة التحضر وهو غير مختصر على أمة دون الأخرى فقول الشعر لم يكن بالشيء الجديد عليهم. ثم أن شعراء التالين لهم لم ينطلقوا في يمدان الشعر من الصفر إنما قلدوا من سبقوهم من الجاهليين متبعين تقاليدهم الأدبية حتى بعد الانتحال.

رابعاً: وجود الانتحال وانتشاره يرجع إلى الأسباب الدينية والسياسية وساهم فيه الكثير، كالعصبية القبلية وكذلك ما فعلوه علماء السيرة من أنساب ما استطاعوا من أشعار إلى الأمم البائدة وأيضاً الشعوبية التي قامت بنحل شعر على لسان الجاهلين.وما وضعه الرواة أمثال حماد الرواية وخلف الأحمر أضف غليهم القصاصون واختلافهم في إبطال بعض القصص.

خامساً: وصل بهم حد الشك على الدراسات النقدية لدوارين الشعر الجاهلي المشهورة في أنه لا توجد علاقة بين هؤلاء الشعراء وما نسب إليهم من شعر مستشهديين بامرئ القيس.

ولكن الرواة لم ينكروا شكهم في شعر امرئ القيس كما ورد على لسان الأصمعي بأن تلك ما لديهم من رواية حمادرواية مشكوك في أمرها إلا القليل منها الذي سمع على لسان الأعراب .

ويرفض الباحث هذا التشيك في تراثنا الأدبي والتاريخي بما يذعمه هؤلاء المستشرقين فهو يمثل حافزنا التليدي ولا نرفض أخداعه إلى الدراسية والتحليل ولكن هناك من سبقونا في هذا المجال وكانوا أكثر حرصاً على أن يضيفوا بين أيدياً أصدق الدلائل وأوثقها عن شعرنا الجاهلي وشعرائه.

وتدوين النصوص الأدبية بالصورة التي وصلت إلينا عن الجاهلية كثيرة تتأثر بالعوامل الشخصية والنفسية أو العقلية ووجهات النظر المختلفة عند الأدباء أو الرواة[1].

وليس للباحث أدني شك في أن عملية جمع وحفظ وتدوين تأثرة بهذه العوامل فنجد من ذلك حدوث بعض الاختلاف بين الرواة في ألفاظ النص الأدبي الواحد ويرجع الباحثين هذا إلى أن الراوي قد يلجأ إلى تغير كلمة نطقها الشاعر على لغته فيغير منها إلى ما يوافق لغته دون تغيير المعني أو أن تسقط منه بعض الكلمات سهواً فيلجأ الى وضع بديل لها وليس في هذا غضاضة مادام غرض الشاعر قائم والمعني لم يتغير ،أو أن الشاعر نفسه يكون قد ألقي نصه على طريقتين في أوقات مختلفة فيحس أن هذه الكلمة أفضل من سابقتها أو تكون قد سقطة من حافظته وأيضاً من ظاهرة الاختلاف بين الرواة ترتيب الأبيات فقد يحدث تقديم أو تأخير في الابيات الشعرية فهو يعتمد على حافظته وهي عرضه لذلك. أما إنساب بعض الأبيات إلى قائل مجهول فنجد هذا في الشواهد الشعرية وربما حدوث هذا يرجع إلى تشابه الأسماء فاشتراك الشعراء في الاسم الأول يؤدي إلى ذلك فمثلاً وجود أربعة أدباء باسم كثير وهكذا لذا ألفت كتب تحمل أسماء الشعراء مثل كتاب معجم الشعراء للمزرباني والمؤتلف والمختلف للأمدي.

---

[1] المفيد الغالي في الأدب الجاهلي،د.زبيردراقي ، ص٣٨-٣٩ .

هذه هي الظاهر التي نجدها في تدوين الأدب الجاهلي ومهما يكن فإن فضل الرواة كبير لحفاظهم على هذا التراث رغم ما ضاع منه بسبب الرواية الشفهية ولا ننسي فضل رواة التدوين فقد أسهموا في المحافظة على هذه العلوم من الضياع حتى تصل إلى الأجيال التالية فيعرفوا مآثرهم الماضية وكيفية المحافظة عليها من الضياع والزوال وهذه الكتب مازالت إلى يومنا هذا مراجعاً للأدباء والعلماء والباحثين [1].

أهم موارد الشعر الجاهلي:

بعد إنتهاء رحلة الرواية والتدويين للشعر الجاهلي وذاك الجهد الجبار الذي بذله العلماء المخلصين بتفحصهم وتدقيقهم في صحة ما سيقدمونه إلينا أصبح بين أيدينا أعمال علمية تكمل بوصفها البعض – ومراجع ومصادر تحتوي على الشعر الجاهلي يرجع إليها كل من ارادة معرفة ما حوته هذه الفترة من ذخيرة علمية واسعة وتتمثل هذه المراجع والمصادر في الآتي:-

أولاً: المعلقات:

وأول من جمعها حماد الراوية وقد جعلها سبعاً وتضمن امرئ القيس وزهير ابن أبي سلمي وطرفة بن العبد ولبيد وعمرو بن كلثوم والحارث ابن حلزة وعنترة بن شداد العبسي أما المفضل الضبي وافقه على أنها سبع ولكن أسقط كل من الحارث بن حلزة وعنترة العبسي وخلفها بالأعشي والنابغة أما التبريزي فقد جعلها عشر فقد جمع بين رواية حماد والمفضل الضبي مضيفاً عبيد الأبرص [1].

ثانياً: المفضليات:

من أوثق مصادر الشعر الجاهلي وقد نسبت إلى المفضل بن محمد الضبي وهو من رواة الكوفة الموثوق بهم وأوثق رواياته هي الست والعشرون ومائة قصيدة

---

[1] تاريخ الأدب الجاهلي،د. علي الجندي ، ص١٤٧.

[1] الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، د. علي أحمد الخطيب ، ص١٩٧.

وهذا ما رواه عنه ابن الأعرابي وقام ابني الأنباري بنشرها إلى أن نجح كل من الأستاذين عبد السلام هارون وأحمد شاكر بنشرها في دار المعارف [2].

ثالثاً: الأصمعيات:

وهي أيضاً من أوثق الروايات وقد نسبت إلى الأصمعي وقد بلغ عدد قصائدها اثنتين وتسعين لواحد وسبعين شاعراً أربعين منهم ينتمون إلى فترة الجاهلية منهم أمرؤ القيس والحارث بن عباد ودريد بن الصمة وذو الأصبع العدواني وطرفة وعروة بن الورد وقيس بن الخطيم، وسلامة بن جندل واليهوديان شعبة بن القريض والسموأل بن عادياء [3].

وأول نشر للنسخة الأصلية من الأصمعيات ورد في برلين سنة ١٩٠٢ ثم أعاد عبد السلام هارون واحمد شاكر نشر عن نسخة للشنقيطي نقلاً عن أصل قديم.

رابعاً: جمهرة أشعار العرب:

لصاحبها أبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي عاش في أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع الهجرى وتضم جمهرته هذه تسعاً واربعين قصيدة وزعت على سبع أقسام وهي:-

(أ) المعلقـات:

وأخذ برواية السبع مسقطاً عنها معلقتين الحارث بن حلزة وعنترة ووضع معلقتين الأعشي والنابغة.

---

[2] في تاريخ الأدب الجاهلي ، د. علي الجندي ، ص١٤٧.

[3] الشعر الجاهلي السياق والملامح وأهم القضايا وابرز الإعلام، د. صلاح رزق ، ص١٨٥.

المجمهرات:- وهي أشعار كل من عبيد الأبرصي وعدي بن زيد وبشر بن أبي خازم وأمية بن أبي الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب وعنترة بن شداد [1].

(ب) المنتقيات:

أي المختارات وهي أجود القصائد وضعها القرشي في كتابة جمهرة أشعار العرب وتضم المسيب بن علس والمرقش الأصغر جرير بن عبد العزي وعمروه بن الورد والمهلهل ابن ربيعة ودريد بن الصمة والمنتخل الهزلي [2].

(ج) المذهبات:

من القصائد الجيدة والتي قيمة باستحقاقها أن تكتب بماء الذهب لما حوته من جودة وقوة وهي لشعراء من أنصار الجاهليين أو مخضرمين وهم حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة ومالك بن عجلان وقيس بن الخطيم وأميمة بن الجلاح وأبوقيس بن الأسلت وعمر بن أمرئ القيس [1].

(د) المرائى:

قصائد الرثاء وهى سبع وأصحابها هم ابوذؤيب الهزلى ومحمد بن كعب الفنوى وأعشى بأهله وعلقمه دوجدن الحميرى وابوزيد الطائى ومتمم بن نويرة ومالك ابن الريب .

(هـ) المشوبات

وهي للشعراء المخضرمين عاشوا في فترة الكفر والإسلام وهم النابغة بن جعدة وكعب بن زهير وعمير بن عمرو ابن عياد والحطيئة والشماخ بن ضرار القطفاني وعمرو بن أحمر بن تميم بن أبي أبن مقبل.

---

[1] جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام تحقيق علي محمد البجاوي، ط ١، نهضة مصر للطبع والنشر، ص٧٣.

[2] المصدر السابق.

[1] المصدر السابق ، ص٧٤.

(و) الملحميات:

وهي من أطول القصائد الإسلامية الموثقة الرواية وقد طبعة في لبنان والقاهرة ولكن مصدر ثقتها لا يتساوي مع المفضليات أو الأصمعيات لضعف السند فيها إذ لا يمكن الاعتماد عليها إلا بعد مقابلتها بالروايات الصحيحة حتى تأخذ نفس مكانة السابقات وأصحابها هم الفرزدق وجرير والاخطل وعيب الرعي وذو الرمة والكميت بن زيد الأسدي والطرماح بن حكيم الطائي [2].

خامساً: مختارات ابن الشجرى:

هوخليط من مختارات الشعر الجاهلي والإسلامي قسمها إلى ثلاث:-

القسم الأول: ويضم الشنفري وطرفة بن العبد ولقيط بن يعمر والمتلمس.

القسم الثاني: مختارات من دواوين بعض الشعراء وهم زهير بن أبي سلمي وبشر بن أبي خازم وعبيد الأبرص.

القسم الثالث: وفيه مختارات من ديوان الخطيئة المطبوعة في القاهرة ولكنها مثل الجمهرة في ضعف الإسناد.

سادساً: دواوين الحماسة:

وهي ذات قيمة أدبية كبير أشهرها حماسة أبي تمام وهي مقطوعات من الجاهلية والإسلام والفترة العباسية مقسمة على عشر أبواب أكبرها باب الحماسة وقد أهتم بشرحه كل من المرزوقي والتبريزي.

ثم تليها حماسة البحتري وهي مقطوعات من أربعة وسبعين ومائة باب وهي ذات قيمة خلقية وتاريخية وعلمية.

---

[2] نفس المصادر السابقة ، ص٧٥.

وأخيراً حماسة الخالدين أو الأشباه والنظائر وهي للأخوين سعيد الخالدي ومحمد الخالدي.

ونختم بالحماسة البصرية لصاحبها علي بن أبي الفرج البصري وهي مازالت مخطوطة بدار الكتب [1].

سابعاً: دواوين الشعراء الستة الجاهلين:

عمل على جمعها الأصمعي والشعراء هم امرئ القيس والنابغة وزهير وعنترة وطرفه وعلقمة الفحل وعمل ألدارو على نشرها مضيفاً عليها مخولات من ديوان امرئ القيس وقامت دار الكتب المصرية بنشر ديوان زهير وطبع كل من ديوان النابغة وطرفة ولبيد وعروة بن الورد وحاتم الطائي وديوان علقمة الفحل والشنفري وأوس بن حجر وهناك بعض من الدواوين لم تجد حظها من النشر [1].

ثامناً: شرح النقائض:

يضم الشعر الذي قيل في أيام العرب ويرجع الفضل في وضعه إلى أبي عبيدة وسار على نهجه كل من ابن الأثير في كتابة الكامل وابن عبد ربه في كتابة العقد الفريد ومحمد ابن سلام في كتابة طبقات فحول الشعراء أما الكتب التي كانت تضم الأدب فقط مثل كتاب البيان والتبيين والحيوان للجاحظ والمبرد [2].

كل هذه المؤلفات كانت في البصرة أما كتب الكوفة فمنها عيون الأخبار لابن قتيبة والآمالي لأبي على الغالي ولكنها احتوت على المنحول من الشعر وإذا كنا قد فقدنا دواوين القبائل فصاحب الأغاني قد حفظ لنا كثيراً من أشعارهم فقد ترجم لشعراء القرن السادس إلى القرن التاسع وهي غنية بالأشعار فهو عالم وناقد بصيرتهم بإسناد

---

[1] المصدر السابق ، ص٧٥.

[1] العصر الجاهلي، د. شوقي ضيف ، ص١٦٠-١٦٢.

[2] الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين ، د. علي أحمد الطيب ، ص١٩٨.

الروايات وإثباتها فكتاب الأغاني يعتبر من أكبر المصادر للشعر الجاهلي أسوة بكتاب الأصمعيات والمفضليات وديوان هذيل [3].

المبحث الثالث

القيم الإجتماعية للشعر الجاهلي

يقوم الشعر الجاهلي على أساسيات معينة تضم أغراض وموضوعات الشعر وهي كما يلي:-

(أ) العلاقة بين الفرد والقبيلة علاقة انسجام مع محيطة ومع الجماعة متقيد بتقاليدها كما يوجد الفرد المتميز من القبيلة اجتماعياً وسياسياً ودينياً ويمثل رئيس القبيلة والملك أو الكاهن.

(ب) وجود العلاقات السلبية والإيجابية ما بين البيئة الطبيعية والبشرية وتتمثل من الصحراء والترحال والمطر والقحط والجبال.

---

[3] الشعر الجاهلي الملامح والسياق وأهم القضايا وأبرز الإعلام، د. صلاح رزق ، ص١٨٥.

(ج) تأثر الأنساب بالحيوانات مما أدي إلى ظهورها بصورة مباشرة أو غير مباشرة في الشعر الجاهلي وتختلف من شاعر إلى آخر مثل الناقة والفرس وحمار الوحشي والكلاب.

(د) الصراع المتمثل في الموت والحياة واستمراريتها والممارسات الأخرى كالصيد والحرب والسلام والمرأة والمحبوبة كلها تشكل مشكلات في حياة الشاعر الجاهلي [1].

القيم الاجتماعية في الشعر الجاهلي [2]:

لقد تجسد في الشعر الجاهلي كثير من الظواهر الاجتماعية والفنية والفكرية والتعمق حين ارتبطت بالقيم التي اتفق عليها العرب طوعا أو كرهاً وصارت على لسان الشعراء قوالب تحكي أبعادها النفسية والاجتماعية والفكرية فقد حقق شعراء الجاهلية نجاحاً منقطع

ومن هنا فإن منطق العقل في دراسة الانتماء وربطه بالقيم العربية في القصيدة الجاهلية يؤدي دائماً إلى تشكيل ضدين الأول [1]:

---

[1] الأدب الجاهلي في آثار الدراسيين قديماً وحديثاً، د. عفيف عبد الرحمن، دار الفكر للنشر والتوزيع، دمشق، ص ١٤٣-١٤٤.

[2] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني ، ج٢ ، مكتبة الدار العربية ، ص١٦١.

[1] ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي، د. علي شوافي ، إسحاق الشعيبي، دار الرفاعي للنشر الرياض ، ص٢٥-٢٨.

الأول: مرتبط بالصفات الحميدة من حسب شريف ونسب أصيل كريم وعزة ومروءة ووفاء وقدرة وشجاعة وإخاء وكثرة عدد وإجازة ونجده وفخر بالعمل والسيادة ودعوة إلى السلم والثأر.

والثاني: مرتبط بالصفات الزميمه كالكذب والنفاق والغش والغدر والخيانة والظلم والفقر والاغتراب والبخل.

فكل من يسلك بعض مسالك هذه الصفات ربما لا يفقد انتماءه للمجتمع أو الأرض ولكن يهدد انتماءه إلى قبيلته مهما كانت مكانته فيها فعروة بن الورد العبسي على شرفه ومنزلته في قومه وعلى الرغم من دعوته إلى الصعاليك دعوة إنسانية فإن عبساً لم تكن لترضي عن سلوكه في اعتراض أرزاق الناس وسلبها في زمرة من الصعاليك والفقراء. وطرفة بن العبد على منزلته في بكر ما كان إسرافه وتبذيره لماله في شرب الخمر ليرضي قومه وظاهرة الخلعاء وما كانت لتوجد لو آمنت القبائل العربية بأن الجرائم التي يرتكبنها المخلوع لا تهدد الجماعة والانتماء إليها.

وكان الشعر الجاهلي المرآة العاكسة لسلبيات القيم الاجتماعية بكل دقة ومن هذه الظواهر السالبة.

التفاخر بالأنساب ويقع تحت جنح السلبيات حين يتدافع القائلين بالتفاخر والتعاظم فيصبح هذا التفاخر من ظاهرة الحياة الاجتماعية السلبية [1].

فقد انشغل العرب بتفاخر أبائهم وأجدادهم وبالسيادة والشرف مما أدي على نشوب النزاع بين القبائل.

ولعل هذا المفهوم السلبي مازال حتى اليوم من أكبر العوائق التي تحول دون اجتماع راسين هذا المفهوم يتغلغل في المجتمع العربي المعاصر فالفوارق الطبيعية هي التي

---

[1] لسان العرب ، دار الفريد للطباعة والنشر ، ج ٢ ، ص ٦٢٩.

تسيطر على المجتمع رغم الحسب العظيم الظاهر في حسن فعالهم زاعمين عدم امتلاكهم النسب الرفيع [2].

العصبية القبلية:

هي أساس النظام القبلي وهي تعم العرب كلهم حضراً وبدواً وكما ظهر معنا في مفهوم النسب فهي ذات حدين أجابية ويقصد بها نصرة ذوي القربى حقاً لأن البيئة الصحراوية ومتطلباتها جعلت من العصبية القبلية ظاهرة نافعة وضرورية للمجتمع.ونفس هذا المفهوم يمكن أن يصبح سلبياً مؤذياً فالإخوة تعني عندهم مناصرة أخاك دون أن تسأله عما وقع له وتلبية ندائه، تقديم العون له معتدياً كان أو معتدي عليه كما في قول القريط بن أنيف:

قوم إذا الشر ابدي ناجزيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا [1]

أما داخل القبيلة الواحدة قد يندر الانتقام الفرد لمقتل أخيه لأن الانتقام يلحق الضرر به فالصفح والعفو خيراً من الانتقام من عشيرته يقلل من أنه ويضعف قبيلته فيظهر ثمن الدم فيتقبله مكرماً ويقول في ذلك الحارث بن وعلة عندما قتل قومه أخاه:

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللاً ولئن سطوت لأوهنت عظمي [2]

شعر التحريض:

---

[2] مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ١١، دار الفريد للطباعة والنشر – دبي.

[1] ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي، د. علي شواخ إسحاق، ص ٢٣

[2] ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي، ص ٢٥–٢٨.

وهو الحث على القتال فإذا كان من أجل الأرض أو الأخلاق أو رد العدوان فهو أجابي أما إذا أخذ اتجاه آخر ذميم فهو سلبي كاستنفار الشاعر لملك للإغارة على القبائل نتيجة لعداوى دفينه بينه وبينها أو تحريض شخص على آخر من اجل الانتقال منه فتبدأ سلسلة الثأر ويكون شعر الشاعر هو الذي أولع فتيلة هذه الحرب كما فعل أوس بن حجر محرضاً النعمان بن المنذر على بنى حذيفة لمقتل شمر بن عمرو للمنذر وهو مع الحارث بن أبي شمر الفساني فقال:

نبئت أن بني حنيفة أدخلوا أبياتهم تامور قلب المنذر

أما الفقر فقد وضع في قائمة القيم السلبية التي تهدد انتماء الأفراد على قبيلتهم وأرضهم فمنهم عروة بن الورد يرى أنه ذل وقهر في قوله:

دعيني للغني أسعي فإني رأيت الناس شرهم الفقير

وأبعدهم وأهونهم عليها وإن أمسي به حسب وخير

ويقصيه الندي وتزدريه حليلته وينهره الصغير

ولذلك نجد كل فرد في القبيلة يسعي على الغني ويفر من الضعف والفقر وسعوا إلى جلب العزة على أن لا يتخلف منهم أي فرد ويحاول جهده في البقاء على منعة الجماعة والحصول على مناجع جديدة أفضل من سابقتها.

كما أسلفنا فان الحياة الاجتماعية للجاهلين كانت تضم في طياتها مثل هذه الظواهر في أشعارهم فكان من باب أحرى أن يقوم هذا الشعر بإخماد نار هذه الحرب ويحمي القبائل وأن لا يعمق الإحساس بالحقد والكراهية فكثرة أيام العرب مفادها تلك الأشعار التحريضية فقد كانت تمثل فخر أو عزة للمنتصرين وتصغيراً وإذلالاً للمنهزمين.

الجوانب الإيجابية:

للشعر قدرة كبيرة على تغير بعض الظواهر الاجتماعية السالبة ويدفع النفوس إلى الرشاد والخير.فحين أدرك الشعراء واجبهم نحو مجتمعهم سعوا لحل كثير من

المشاكل الاجتماعية والتي ربما يكون للشعر نفسه ضلع فيها ونقف في الجوانب الإيجابية للشعر على مثالين لبيان أثره في دفع النفوس نحو الطريق السليم

أولاً: ويتمثل في مقدرة الشعر في القضاء على المشاكل الاجتماعية التي كان المجتمع الجاهلي يعاني منها.

ثانياً: قدرة الشعراء على إخماد الحرب بين الإخوة والأعمام وأفراد الجنس العربي.فربما ينجح الشعر في محاربة بعض العادات الاجتماعية الذميمة المتعلقة بالزواج فقد ذكرنا بأن التفاخر بالأنساب كان سبباً وعائقاً للزواج خاصة إذا كان بين طبقات غير متكافئة وهنا نجد أن بمقدور الشعر نفسه محاربة هذه المفاهيم وجعل الكرم عامل جذاب يشد الناس إلى صاحبه ويزاد قوة وإذا بالشهرة والمفاخرة التي يجلبها الشعر تنتج المصاهرة فقد أشتهر الأعشي بحادثة طريفة عند زيارته إلى مكة فقام بضيافته أحد رجالها كان يعاني من نفور من أبناء [1]عمومته عنه لأنه فقير خامل الذكر ذو بنات فمدحه الأعشي بقوله:[1]

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار بالقاع تحرق [1]

تشب لمقرورين بعطليانها وبات على النار الندي والمحلق

وفيفي لبان قذى أم تحالفا باسحم داج عوض لا نتفرق [3]

ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواني رونق [4]

نفي الذم عن آل المحلق جفنه كجابية الشيخ العراقي تفهق [5]

---

[1] ديوان الأعشي ، صادر رواد- بيروت ،١٩٦٠ص ١١٦.

الملحق: ممدوح الشاعر وهو المحلق بن خنتم بن ربيعة الكلابي.

بالبقاع: ما ارتفع من الأرض.

بأسحم داج: أي بليل أسود ، عوض: أبداً.

الهندواني: السيف المنسوب على الهند.

تفهق: يفض، الجابية: الحوض الضخم، الشيخ العراقي: قيل أراد به كسري.

ترى القوم فيها شارعين ودونهم من القوم ولدان من النسل دردف [6]

طويل اليدين زمطة غير ثنية أشم كريم جاره لا يرهق

فما أن تم الأعشي قصيدته حتى تدافع الناس نحو هذا الرجل يهنئونه ويتسابقون على خطبة بناته.

وربما يكون بمقدور الشعر إخماد نار الحرب بين الأعمام والأفراد ويعوا إلى السلام والسلم ويقيمونه بأن له نفع على الناس فنجد زهير يرسي دعائم السلام في معلقته مشيداً بهرم بن سنان والحارث بن عوف وعن سعيهما بالصلح في حرب داحس والغبراء .

شعر خيانة القبائل وذمها:

فقد دعاء الشعر إلى الالتزام بالعهود والمواثيق وذلك بتحقير صفتي الخيانة والقدر وإظهارهما بمظهر العار على الفرد أو الجماعة فسلك الشعراء مسلك الاستهزاء والسخرية لتأكد في نفوسهم صفة الكراهية والاشمئزاز من هذه الصفات أصلاً في أن تحل مكنها تلك الصفات التي تعود على الناس بالنفع من أمانة ووفاء فيستقيم معها المجتمع وتحترم المواثيق وتعم الثقة بين الناس فالقيم كثيرة ووفيرة عند شعراء الجاهلية فقد صوروها لنا في مفاهيم جميلة وفاضلة فكانت كلمات عمرو بن كلثوم خير مثال للشخصية العربية حيث الأنفة والحرية ورفض الهوان وهو يخاطب عمرو بن هند فقال [1]:

أبا هندٍ فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

بأنا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمرا قد روينا

التثنية: الذي دون السيد، لا يرهق: لا يضايقه الدائنون المطالبة والأبيات رواية الديون، ص ١٢٠-١٢١،

[1] شرح القصائد الشعر – للتبريزي تحقيق د. فخر الدين ، ط ٢، حلب ١٩٧٢م ، ص ٣٤٥.

وأيام لنا تمر طوال عصينا الملك فيها أن ندينا

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

بأي مشيئة عمر وبن هندٍ نكون لقيلكم فيها قطينا

فإن قناتنا يا عمرو أعيت على الأعداء قبلك أن تلينا

ونريد أن نكمل صورة القيم الاجتماعية بالتطرق إلى قيمة الانتماء إلى القبيلة وحديث عن الأرض ومواد الماء وما للقيم من مكانه في ذلك فمفهوم الأرض يختلف في عرف الجاهلين عن بقيه الشعوب فأرض القبيلة كل مكان وصلت إليه بقوتها فاستوطنتها وعرفت باسمها وبما أن العرب أهل نجعة يرتحلون وراء الكلأ والماء أينما لاح لهم فهذه المواضع التي يألفها القوم تصبح بمنزلة الوطن لكن مؤقت فعند عودتها إلى تلك الناجع التي عرفت بها هاجت في النفوس ذكريات كثيرة هي وراء انبعاث طاهرة الإطلال في القصيرة الجاهلية إذا لم تكن ظاهرة الإطلال صورة من صور الانتماء لمسح من ذاكرته تلك الأماكن ولكنه عندما ارتحل منها لم يكن ترحاله طوعاً إنما كرهاً لأنه يبحث عن الكلأ والماء [1].

وبهذا كله تثبت لنا أن قيمة الشعر تتحدد بالصور التي تشتمل عليها وبما تحمله هذه الصور من إيحاءات فكرية والشعر الجاهلي يذخر بقيم غير متناهية وبمفاهيم متنوعة فالعصبية عززت في نفسهم القوة والشجاعة والنجدة والوفاء والكرم وحماية الشرف وعملوا على تنمية كل ما فيه عز للقبيلة ومجدها وبقاؤها فوق أي قبيلة أخرى وكرهوا الظلم والقدر والخيانة وذلة المسكين والفقر والبخل والإسراف

[1] مجلة التراث العربي – مقالة ظاهرة الانتماء في القصيدة الجاهلية العدد ٤٤.

والانحراف عن الخلق ا لقويم وخلع صاحب الحرائر من بينهم وجعلوا لغة البيان هي المعبر عما يريدون فتفقوا عليها أهل البوادي والحواضر [2].

[2] شرح المعلقات السبع، الزوزني ص ٢٥٢.

المبحث الأول

التسمية وما قيل حولها .

المعلقات لها عدة أسماء في كتب التراث القديم تتصل بصفات أخرى للمعلقات وهي الجودة والنفاسة والطول والعدد والقدم، فسبب تسميتها بالمعلقات كما يرى الباحثون يرجع إلى تعليقها على الكعبة وقال ابن الكلبي أن أول شعر علق في الجاهلية شعر امرئ القيس في ركن من الكعبة أيام المواسم ففعل الشعراء من بعده وكان ذلك فخراً للعرب في الجاهلية وقد قال ابن عبد ربه (عمدت العرب إلى سبع

قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقتها في أستار الكعبة) [1] وأشار له القول أبن رشيق [2].

ومن الأسماء التي أطلقت عليها المذهبات كما ذكرنا سابقاً ويرجع هذا لنفاسها وهذه التسمية أوردها ابن قتيبه [3].

أما السموط وهي من معاني المسط ولغة القلادة ولذلك سميت المعلقات بالسموط تشبهاً بالقلائد وقد نسبت هذه التسمية إلى حماد[4] الراوية وذكرها أبوزيد القرشي نقلاً عن المفضل الضبي.

كما نسبه إلى حماد أيضاً تسمية المعلقات بالسبع الطوال وذلك لطول [5] أبياتها وقد ذكر هذا الاسم السبع الطوال كل من أبو زيد القرشي في جمهرته وابن

الأثير في المثل السائر. أما ابن الأنباري فقد أضاف [1] إليها كلمة الجاهليات.

وأيضاً من التسميات السبعيات وقد ذكرها الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن والبغدادي في خزانة الأدب.

وتبقي تسمية المعلقات هي الألصق بالتعليق الذي ذهب إليه الكثيرون وهو الأشهر وقد تناقلتها الألسن وصرحت بها الأقلام وما تزال كذلك الى اليوم.

---

[1] العقد الفريد،بن عبدربه، اج ٣، ص ٩٨.

[2] العمدة، بن رشيق، ج ١، ص ٦١.

[3] الشعر والشعراء ، احمد محمد شاكر، ١ج، ص ١١٠– ١١١.

[4] تاريخ الأدب العربي، للزياد ص ٣٢.

[5] العمدة ، بن رشيق،ج١،ص٩٦.

[1] جمهرة أشعار العرب، على البجاوي ص ٢٢٦.

ما قاله القدماء في المعلقات:

هناك نصوص كثيرة منها ما يؤكد سبب تسميتها بالمعلقات هو تعليقها على الكعبة غير أن هنالك من العلماء من نفي خبر التعليق على الكعبة وعلل التسمية بأنها بعيداً عن الأرض ونحن الآن نورد هذه الآراء بشقيهما.

(١) ذكر أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبه (ت ٢٧٦هـ) في ترجمة طرفة بن العبد فقال: (وهو أجودهم طويلة) وقال في ترجمة عنترة واصفاً معلقته بقوله: (وهو أجود شعره وكانوا يسمونها المذهبة).

(٢) أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨هـ) أحد شراح المعلقات السبع جعل نشرها عنواناً هو: شرح السبع الطول الجاهليات).

(٣) أبو عمر وأحمد بن محمد بني عبد ربه (ت ٣٢٨هـ) أول من صرح في اسم المعلقات وعلل التسمية حيث قال قال: الفقيه أبو عمرو أحمد عبد ربه رحمه الله قد مضي قولهم في أيام العرب ووقائعها وأخبارها ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في فضائل الشعر ومقاطعه ومخارجه إذ كان الشعر ديوان العرب خاصة، والمنظوم من كلامها حتى بلغ من كلف العرب به وتفضلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب في القباطي المدرجة وعلقها بين أستار الكعبة فمنه يقال مذهبة امرئ القيس ومذهب زهير أو المذهبات السبع وقد يقال لها المعلقات.

(٤) أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس (ت ٣٣٨هـ) وهو أحد شراح المعلقات ونقل جرجس زيدان نص كلامه من مخطوطته بمكتبة برلين والنص هو: (واختلفوا في جميع هذه القصائد السبع وقيل أن العرب كان أكثرهم علقوها وثبتوها في خزائنهم فأما قول من قال أنها علقت في الكعبة فالا يعرف احد من الرواة أنه قد ذكر هذا

واصح ما قيل في هذا أن حماد الراوية كما رأي زهد الناس في الشعر جمع هذه السبع وحسهم عليها وقال لهم هذه هي المشهورات فسميت القصائد المشهورة [1]

ما قاله المحدثون عن المعلقات:

أن معظم الأدباء المحدثين يستشهدون بأبيات من المعلقات ويتعرضون لذكرها دون الالتفات لقضية الخلاف في تعليقها في الكعبة لكن بعضهم تعرض لهذه القضية وهذا النوع من ذوي الاتجاهات ثلاثة معارض ومؤيد ووسط وسوف نستعرض نماذج لكل فئة منهم

المعارضون للتعليق من المحدثين:

١. الأستاذ الرفاعي ويقول: (لم تر أحد ممن يوثق بروايتهم وعلمهم اشارة إلى هذا التعليق بهذا الاسم كالجاحظ والمبرد وصاحب الجمهرة وصاحب الأغاني مع أن جميعهم أوردوها في كتبهم)... وقد ذكر أبو الفرج صاحب الأغاني المتوفى ٣٥٦هـ أن عمرو بن كلثوم قام بقصيدته خطيباً بسوق عكاظ في مكة فلو كان خبر التعليق صحيحاً لما ضره أن يقول: (كتبتها العرب وعلقتها على ركن من أركان الكعبة [1].

٢. الأدباء العرب (ويروي الأستاذ الشيخ أحمد الاسكندري أن السبب في تسميتها بالمعلقات أن العرب لم تكن تكتب قبل القرآن كتاباً وإنما كانوا يكتبون في قاع مستطيلة من الحرير أو الجلد أو الكاغد يوصل بعضها ببعض ثم تطوي على عود أو خشبة(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [الأنبياء:

---

[1] العقد الفريد، ج ٥، لجنة النشر القاهرة ١٩٦٥م ، ص ٢٦١.

[1] معلقات العرب، بدوى طبانة، ط ٢، دار النشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ص١٩.

١٠٤] إذ يظهر أن السجل ومعناه الصحيفة أو الكتاب الذي كان يعلق الكتب أو يطويها لعله كان يستعمل مثل هذا العود في طئ الكتاب وتعليقه [2].

٣. ومن المستشرقين بركلمان ويقول وأقدم ما بقي من مجموعات القصائد الكاملة هو الاختيارات التي جمعها حماد وسماها على غرار عناوين الكتب الأخرى السموط أو المعلقات وأراد منها الدلالة على نفاسة ما اختاره والافتخار وزعم المتأخرون أنها سميت معلقات لأنها كانت تعلق على الكعبة لعلو قيمتها ولكن هذا التعليل إنما نشأ من التفسير الظاهر للتسمية وليس سبب آخر كما هو رأي نولدكه [3].

المؤيدون للتعليق وهم على ثقة من تعليقها:

١) الفرنسي (سيدنو) ويري أن المعلقات انتشرت في الأسواق وبعد اختيارها وقبولها علقت في الكعبة بعد أن كتبت بماء الذهب على نفيس القماش ليطلع عليها الجميع [1].

٢) وقال الأساتذ عبد الحميد المسلوت وحسن جاد وعبد المنعم خفاجي فالعرب كان من عاداتهم أن أرادوا أن يوقفوا أمر أو يؤيدوا عهد كتبوا كتاباً وعلقوه في جوف الكعبة تعظيماً لشأنه كما جاء في معاهداتهم على مقاطعة بني هاشم بعدم نكاحهم أو مبايعتهم فقد وثقوها وعلقوها في جوف الكعبة تأكيداً لهذا الأمر على أنفسهم وما

---

[2] تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. النجار، ج١، ص ٦٧.

[3] الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، حسن ، خفاجة ، المطبعة المصرية بالازهر ، ١٩٥٥م ، ص ٣٤.

[1] تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة د. النجار، ج١، ص ٦٧.

الذي كان يمنعهم من تعليق هذه القصائد وهم يرونها كتابهم الخالد وأسفارهم التي تنطق بمجدهم وتعلن عن مناقبهم وتشيع بين الأيام مفاخرهم [2].

وأخيراً رأي من هم وسط بين تأيد وتكذيب لأمر تعليقها:

الدكتور يحي حبوري يقول (مع أن الحجج التي سبقت الإنكار للتعليق والحجج التي قدمت لإثباته وإقراره كثيرة ووجيهة ولكنها جميعها تقوم على افتراضات منطقية وليس لدينا حتى الآن الحجة البينة التي يطمئن إليها الباحث لرفع التعليق أو إقراره – ولاشك أن الحجج المنطقية والافتراضات الظنية لا تعني شيئاً من قضية كهذه.

وختام نجد هؤلاء المحدثين مستشرقين وعرب الذين حاولوا إثبات نظرية نفي هذا التعليق مستعينين ببعض الأدلة منها.

١. أن العرب كانوا أمة أمية يندر فيها القارئون وهذا دليل مردود بأنه قد ثبت ثبوتاً قاطعاً أن العرب كان فيهم من يقرأ ويكتب إذ كيف تكون الأمية مطبقة على الأمة العربية، مع أن الحروف مكتوبة بها النقوش العربية الجنوبية قد تكون هي الحروف الأصلية التي بنيت عليها الفينقية في هجائها، فهي لذلك أم الكتابات الهجائية في العالم. ومن أدلة معرفة العرب بالكتابة قول الحارث في معلقته.

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء

حزر الجور والتعدي وهل يفقرها في المصارف الأهواء

وقال الجاحظ: والمعارف ليس يراد بها الصحف والكتب، ولا يقال للكتب معارف حتى تكون كتب دين أو كتب عهود وميثاق أمان .

---

[2] الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام، على احمد الخطيب ، ص ٢٣٤.

٢. وأيضاً من حججهم أنه ما كان للعرب الذين يوقرون هذه البيئة أن يدنسوها بمثل مجون امرئ القيس ولا فسوق طرفة وكأنهم يقيسون بقولهم هذا العرب من الجاهلية بالعرب وهم مسلمون وقد طهروا الكعبة وقصدوها حجاجاً تائبين عابدين متناسين في هذا القياس الظالم تلك الهوة العميقة التي فصلت بين الجاهلية والإسلام في العادات والتقاليد وذلك خطأ في القياس أدي إلى الخطأ في الحكم [1].

ويري الباحث أنه ليس هناك ما يمنع من تعليقها في جوف الكعبة ما دام العرب يعرفون الكتابة وأن قريش هم سدنة الكعبة وأن تعليق الأشياء المعظمة في الأماكن المقدسة ظاهرة واقعة فعلاً عند العرب وغيرهم وهذه القصائد تمثل سيادة اللهجة القرشية، على بقية اللهجات وأن هناك اعتقاد بأن الجن يهب هذه النعمة.

وخلاصة القول أن اسم المعلقات هو الاسم المشهور عند العلماء قديمهم وحديثهم والخلاف بينه وبين السموط خلاف لفظي وأن منشأ هذه التسمية قد يكون من تعليق الملك في خزائنه أو من تعليق الشئ النفيس للاحتفاظ به أو من التعليق على الكعبة فإن حالة المجتمع الذي شهد مولد هذه القصائد يجعل كل غرض من هذه الفروض، يصلح لأن يكون هو السبب في منشأ التسمية.

---

[1] نقلاً عن الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين، د. علي أحمد الخطيب، ص ١٨٩.

المبحث الثاني
عدد ها ونسبتها لأصحابها وما قيل حولها

أختلف القدماء في عدد المعلقات فمنهم من قال أنها سبع ومنهم من قال تسع وعشر وجاء هذا الاختلاف من الاعتماد على الرواية الشفوية فهي تعتمد أولاً وأخيراً على ملكة الحفظ [1] والشائع أنها سبع.

ولقد حرص أبو زيد القرشي في جمهرته على ذكر المعلقات وأصحابها فجعلهم سبعة وهو امرئ القيس زهير والنابغة والأعشي ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة وعنده أن هؤلاء أشهر الناس كما ذكرهم المفضل فمن قال إن السبع لغيرهم فقد

[1] معلقات العرب، بدوى طبانة ، ط٢ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ص ١٣.

خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة[2] ونجده قد اغفل معلقتي الحارث وعنترة التي أثبتهما ابن الأنباري في شرحه في موضع معلقتي النابغة والأعشي.

أما أبو جعفر النحاس فعنده أنها تسع بينهما معلقتان للنابغة والأعشي ولكنه ذكر في شرحه لها أن المشهورات الجيدات سبع وهي لامرئ القيس وزهير والحارث وعنترة ولبيد وعمرو وطرفة فقال في ختام شرح القصيدة السابعة فهذا أخر السبع المعلقات المشهورات على ما رأيت عند أهل اللغة وجاءت هذه الإضافة لما رأي من اختلاف الرواة في عددها وأصحابها وعند أبي عبد الله الزوزني أنها سبع وهي خمس للمشهورين عند الأكثرين وهم امرؤ القيس وطرفة وزهير ولبيد وعمرو واثنتان لعنترة والحارث [1].

والمشهور عند العرب أن المعلقات سبع أصحابها امرؤ القيس وطرفة وزهير ولبيد وعمرو وعنترة والحارث وكلهم جاهليون ماتوا قبل البعثة النبوية ما عدا لبيد فقد مات في أواخر خلافة معاوية في الكوفة.

توثيق نسبة المعلقات إلى أصحابها:

أجمع الرواة على نسبة هذه المعلقات إلى قائليها ولا يوجد راوياً أو عالماً نفي نسبتها إلى قائليها أو رماها بالوضع والانتحال إلا ما أثر حديثاً عن طه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي والرأي الفذ بين آراء ثقات العلماء قديماً وحديثاً لا يمكن أن يطمأن إليه. ولم يختلف الرواة في المعلقات إلا اختلاف يسير في بعض الألفاظ أو

---

[2] جمهرة أشعار العرب، محمد على البجاوى ، ص ٣٤.

[1] نقلاً عن المعلقات في كتب التراث ، إعداد عبد الفتاح المصري ، ط ١، دار النشر مؤسسة الرسالة ، ص٣١.

ترتيب بعض عباراتها أو أبياتها المتعاقبة، وعلى رغم تلك الاختلافات فقد حازت المعلقات على ثقة جمهرة العلماء على مر العصور الأدبية فتمثلت أجيال الأدباء والعلماء واللغويين بأبياتها واستشهدوا بها في صناعة النحو والإعراب ولغة البيان واهتموا بالاستشهاد بأبياتها والاستئناس بها.

والبعد كل البعد أن يبني هؤلاء العلماء دراساتهم على أساطير وأحاديث خرافية وهم أهل الجودة والإخلاص والرقة فيما يكتبون شهد لهم بذلك القاصي والداني وغيران العرب قديماً كانوا لا يرون إلا ما صح عندهم ولا يستشهدون إلا بما تأكد صحته لديهم ولا يقيمون دراساتهم الأعلى ما وثقوا به.

أما هؤلاء العلماء الذين وقفوا أنفسهم على رواية الأدب العربي والذين وصل إلينا عن طريقهم جل ما نعتز به من تراث من حيث الأهمية من أبرزهم فى هذا المجال حماد الرواية فقد كان من أشهر الرواة مكانة و أعلم الناس بأيام العرب وأخبارهم وأشعارهم وأنسابهم ولغاتهم.

و ايضا هناك الكثير من المستشرقين الذين اعترفوا بقيمة التراث العربي في العصر الجاهلي والإشادة به وبدقة الطريقة التي وصل إلينا بها مع مزيد من الثناء على المعلقات وصدقها وخلوها من التزييف والتزوير وجاء ذلك على لسان (تيودور تولد المستشرق الألماني حيث يقول أن الشعر العربي نقل بواسطة الرواية الشفوية والتواتر السمعى ولا غرابة في هذا بالنسبة للمقطوعات والقصائد الصغيرة) أما المعلقات فقد كان من التوفيق في حفظها وتداولها وجود فريق من الرواة اختصوا بالحفظ لأشعار شاعر واحد أو جملة شعراء كما كان للشعراء أنفسهم رواة يدونون أشعارهم فكان لكل شاعر راويته.

هؤلاء العلماء العرب وغير العرب ممن تم ذكرهم لم يدع واحد منهم أن المعلقات منحولة أو موضوعة أو أن نسبتها إلى قائلها موضع الشك.

رغم هذا كان هناك من ينفي صحة هذه النسبة بل وينفي صحة الأدب الجاهلي كله ويرميه بالزيف والوضع والانتحال وزعيم هؤلاء أو أحد هؤلاء هو طه حسين في كتابه في الأدب الجاهلي حيث يقول... فلسنا نعرف قصيدة يظهر فيها التكلف والتحمل مما يظهران من هذه القصيدة ولا تحفل الكتب بقصة تعليق هذه القصائد السبع أو العشر فما نظن أن أنصار القديم يحلفون بهذه القصة التي نشأت في عهد متأخر والتي لا يثبتها شئ في حياة العرب وعنايتهم بالأدب وهم بعد ذلك يختلفون اختلافاً كبيراً في رواية القصيدة في ألفاظها وفي ترتيبها ويضعون لفظاً مكان لفظ وبيتاً مكان بيت وليس هذا الاختلاف مقصوراً على هذه القصائد وإنما يتناول الشعر الجاهلي كله وهو اختلاف يكفي وحده لحملنا على الشك في قيمة هذا الشعر [1].

وقد تصدي للرد على د.طه حسين عدد من العلماء والأدباء حتى أن بعضهم ألف من هذا الرد كتاباً كاملاً فاوضح محمد مصطفي جمعه في كتابه الشهاب الدامر وغيره من الأدباء على أن بعضهم قد أسرف في كيل التهم للدكتور طه حسين وبعضهم اكتفي بمجرد إظهار فساد ما ذهب إليه ونحن نورد بعض هذه الردود خاصة فيما يتعلق بتأكيد نسبة المعلقات إلى قائلها.

[1] في الأدب الجاهلي، د. طه حسين ، ط٢ ، دار المعارف المصرية ، ١٩٢٧م ، ص١٢٤.

أن أقدم كلمة قيلت في هذا المجال فبني عليها الشاكون شكلهم وترددهم هي كلمة ابي جعفر النحاس التي يقول فيها: واختلفوا في جمع هذه القصائد السبع[2] ولعل الدكتور طه قد بدأ نية الشك في قلبه حينما اطلع على تلك الكلمة.

على أن عبارة أبي جعفر هذه لا تنبئ عن المقصود بها تماماً في مجال التثبيت والتحقيق العلمي. فهل يقصد أن اختلافهم كان في الجمع أو عدمه ؟ أو يقصد الاختلاف في من قام بهذا الجمع من العلماء أو الرواة أو في الطريقة التي جمعت بها تلك القصائد؟.

فلم يكن لأحد منهم شئ من الفضل في هذا الجمع. بل وجدوها معروفة معروفاً أصحابها على النحو الذي وصل إليهم ولم تكن هناك حاجة إلى الجمع من جديد وإنما يكون مجال الحاجة أو مجال الجمع محصوراً في تنسيق ما وجدوه مجموعاً أما باستبعاد بعض هذه القصائد التي كانت ثمانياً أو تسعاً أو عشر مع حصرها في تلك السبع أو إضافة قصيدة أو أجزي إلى السبع أو ما دونها الرواة الذين قاموا بهذا الجمع. فالمسألة كما هو واضح من العبارة مسألة جمع لا أكثر وهذا يقتضي على كل شبهة يمكن الاستدلال منها على الوضع أو الانتحال أو الزيادة أو النقصان.

وهذا يدل دلالة واضحة على التسليم المطلق بصحة ذلك المأثور وصحة نسبته إلى قائله [1].

---

[2] نزهة الباء في طبقات الأدباء، بن الانباري ص ٤٤٨.

[1] المعلقات في كتب التراث ، عبد الفتاح المصرى ، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، ص٦٨.

ولئن كان طه حسين لم يتأثر بكلمة أبي جعفر النحاس هذه فإن ما ذهب إليه إذن لا يستند إلى شئ من الآراء الثابتة أو الحجج القاطعة بل هي مجرد ظنون أو استنتاجات غير مبنية على أسس علمية يمكن أن يطمأن إليها لأن الظن دائماً لا يغني من الحق شيئاً.

المبحث الثالث

ما تفردت به المعلقات والقضايا المثارة حولها

أن شعر المعلقات يحتوي على فنون مختلفة ومعارف متنوعة فمثلاً علماء التاريخ يستطيعون تحقيق في الوقائع والأحداث التي احتوتها المعلقات وإشارة إليها وعالم الجغرافية يجد الوصف الدقيق لطبيعة الجزيرة العربية وتحديد مواقع المنازل والجبال والهضاب والوديان ورسم خرائط تحدد موقعها وتوضح ما بقي منها من آثار كذلك علماء النبات والحيوان يتعرفون من خلال وصف الشعراء لهم في المعلقات على الحيوانات التي كانت ذات صلة بهم وعن أماكن توا جدها[1] فقد ضمت المعلقات صورة مختلفة للحياة الجاهلية والممارسات القبلية فنجد مثلاً امرؤ القيس بعد المقدمة ذكر ما دار في يوم دار جلجل وعرج إلى ذكر صاحبته ومغامراته ثم انتقل إلى وصف الليل وما يحتويه من صعاب وأهوال وختم معلقته بذكر ووصف البرق والمطر وما نتج من سحر وجمال من طبيعة البادية.

أما طرفة بن العبد بعد أن استهلاله الحديث عن صديقته خوله استرسل في وصف ناقته ثم ذكر خلائقه في البأس والندي منتقلاً إلى أمانيه في الحياة وعتاب ابن عمه وختم معلقته بالحديث عن كرمه وعقره لناقته [2].

ونأتي إلى زهير الذي خص معلقة بعد المقدمة إلى مدح عظيم لغطفان لدورهم العظيم في الصلح بين عبس وذبيان وعرج الالتزام أحلاف بني أسد وغطفان وطيئ وبأبنائهم من مضية عدم الالتزام بما تحالفوا عليه ودعاهم إلى الالتزام بالسلام

---

[1] معلقات العرب، د. بدوي طبانة، ط ٢، دار النشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧م ، ص٣٨٩.

[2] مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د. ناصر الدين الأسد ، ص٣٠٢.

ذاكراً نتائج الحرب ودمارها ومتعرضاً لحصين بن ضمضم وقتله العبسي وأخيراً كانت الحكمة هي خاتمة معلقته [1].

أما عمرو بن كلثوم فقد خالف نظائره بمطلعة الغريب فقد ذكر الحمر في بداية معلقته ثم افتخر بنفسه وقومية متباهياً بشجاعتهم مفتخراً بأباههم منتقلاً بعدها إلى قصة أمه ليلي مع أم عمرو بن هند حيث سعت إلى تحطيم كبريائها ذاكراً آباءه وأجداده مفتخراً بهم متوعداً ومهدداً للملك.

اما الحارث بن حلزة فقد بدأ معلقته بالمرأة ثم انصرف إلى ناقته ومنها إلى تعدي بني تغلب على قومه بني بكر ثم اتجه مخاطباً عمرو بن كلثوم متهماً له بتزين كلامه بالباطل وإسرافه بالنيل من بني بكر امام عمرو بن هند ويفتخر الحارث بقومه ذاكراً أحداثاً قديمة بين مملكة الحيرة والتغلبيين مشيراً لولاء بني بكر لملوك الحيرة [2].

أما عند عنترة بن شداد فقد أطال الحديث عن محبوبته عبلة ثم اتجه إلى وصف الناقة التي كانت تأخذه إلى دار عبلة وانتقل إلى فرسه واصفاً خوضه للحروب ومصارعة الأبطال وجلب جاريته لإخبار عبلة واستنجاد قومه به والاعتزاز لها ويختم معلقته بتوعد بني ضمضم لتوعدهم له حين قتل أباهم.

وأخيراً نختم بمعلقة لبيد التي احتوت على كثير من التشبيهات عن الطبيعة والرعد والمطر والسحاب ثم انتقل إلى صديقته ذاكراً يأسه من لقائها واتجه إلى وصف ناقته التي كان لها الفضل في تنقله وأعطي نفسه حقها فوصفها بالحزم وقوة الرأي.

---

[1] المصدر السابق.

[2] المعلقات في كتب التراث ، عبدالفتاح المصرى ، ص٤٠.

أما إذا أردنا أن نجمل الحديث ونسرد بالقول عن شعر المعلقات فهي مثال يفتخر به فهي أروع ما وصلنا من الشعر الجاهلي فقد حوي أساليب البلاغة المتنوعة من تشبيهات واستعارات تهدف إلى معالجة حياتهم البسيطة الساذجة في طبيعتها فهي تمثل واقع حياتهم وما زاولوه بأيديهم ورأوه بعيونهم وسمعوه بآذانهم بعد أن تفاعلت شاعرتهم بكل مظاهر تلك الحياة والأحداث التي وقعت فيها فتكونت من انفعالاتهم وعواطفهم تلك القصائد الطوال [1].

(١) ما قيل في شعر المعلقات :

فهو النموذج الذي سار عليه الشعراء وتطلعوا إلى محاكاته فقد كانوا يدفعون أبناءهم إلى تقليد شعر المعلقات حتى يأخذوا منه فن القول وترويضهم على النطق

والناظر إلى بداية المعلقات يجدها قد اتفقت على ذكر الرسوم فهي من تقاليد الشعر الجاهلي وهو ما عمل به أصحاب المعلقات ولم يشذ منهم إلا عمرو بن كلثوم الذي بدأ معلقته بذكر الخمر.

ويرجع هذا إلى طبيعة الحياة التي عاشها فهي التي جعلت هذا الغرض في مقدمة ما عالجه الشعراء وهذا ما كان سائراً فقد اوحته طبيعة حياة أولئك الشعراء الذين استقوا معانيهم منها واشتقوا أخيلتهم مما وقع على ناظرهم. أيضاً الانتقال من غرض إلى آخر كان متوافقاً مع طبيعتهم وملائم لنظراتهم القريبة لأن لكل عصر طبيعته ولكل جماعة ذوقها العام النابع من تلك الطبيعة[2].

---

[1] مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، د. ناصر الدين الأسد، ص ١٥٥.

[2] معلقات العرب، بدوي طبانة، ط ٢، ص ٤٠٢.

(أ) : التقليد والابتكار:

وهو من أهم المقاييس التي حظيت باهتمام النقاد فقد أجادوا الفصل بين ما هو مبتكر أو مقلد والتعرف على سارق الألفاظ و سارق المعاني و من يخترع الكلام اختراعاً ويبتدهه ابتدأها.

ومن اختراع القول ما جاء به طرفة عند وصف جري السفينة فقال:

يشق حباب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد

وأما التقليد فهو سنة الشعراء ولكن هناك تفاوت في درجة إذ إنه ليس كل من قلد أجاد وهناك من الأبيات ما تفردت به من تشبيهات لم تسبق ولم تلحق واستدل ابن رشيق ببيتي عنترة

وترب الذئاب بها يغني وحده هزجاً كفعل الشارب المترنم

غرداً يحك ذراعه بزراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

وقد سمي النقاد تقليد الشعراء لبعضهم في الفظ أو المعني أو الاثنان معاً سرقة شعرية، لذلك وضعوا عدد من الضوابط والمقاييس، منها إذا كان المعني عام وشائع تساوي فيه الشعراء وأيضاً من المقاييس إذا أخذ الشاعر معني غيره فيجب عليه أن يظهر شخصيته في المعني وذلك بالتوضيح أو الإكمال أو التقييد أو التغلب والمخالفة أو التبسيط والاختصار أو تمتين العبارة

(ب) المعاني والأخيلة:

فهي فطرية ميزة هذا الشعر وجعلت له خصائص واضحة فالشعراء يظهرون أحاسيسهم وعواطفهم وانفعالاتهم بكل صدق وصراحة في التعبير فظهرت الحرية التي كان يتمتع بها الجاهلي في تلك الحياة فهي لا تعرف السدود أو القيود [1].

ونجد الصدق واضحاً في أبيات امرئ القيس عندما حاول التعبير عن حياة المجنون دون تعفف أو حياء بوصفه لمغامراته.

وتظهر أيضاً عند طرفه عندما وصف إسرافه على نفسه وغمسها في الملذات دون خوف من المستقبل أو التأنيب.

ونجد الصراحة والصدق الذي تجاوز حدود الفخر عند عمرو بن كلثوم على ملك الحيرة والتعريض له والتمرد على سلطانه أتباعه ونعرج على الحارث بن حلزة الذي ذكر لقومه كثيراً من الأيادي على ذلك الملك وآبائه، حيث رد عنهم طمع الطامعين [2].

فنجد رغم بساطة هذه المعاني إلا أنها عالجت حياتهم وعبرت عنها لذلك كان شعر المعلقات مرآة انعكست عليها مظاهر الحياة الجاهلية وظهرت فيها هضابها وجبالها ووديانها وعيونها وسمائها ونجومها وأمطارها وأنواع نباتها وصوف حيوانها وحياة الحروب التي خاضوها بخيلها وسيوفها ورماحها ودمائها ولم يخرج ذلك الشعر من تلك المقاصد التي قصدوا إليها والمشاهد التي وقعت عيونهم عليها كما عبرت عن عواطفهم بالسخط والرضا لذلك كانت الواقعية من خصائص هذا الشعر.

وقد خلا شعر المعلقات من المبالغات والدعاوي الباطلة فلم يصفوا إلا ما رأوه ولم يتفاعلوا الا مع ما عاشوه

---

[1] معلقات العرب بدوي طبانة ط ٢، دار النشر مكتبة الأنجلو المصرية ، ص٣٩١.

[2] المعلقات في كتب التراث ، عبد الفتاح المصري، ص٦٦.

(ج) في أساليب البلاغة العربية:

فشعر المعلقات غنياً بعلوم البلاغة فهي متناثرة في كتب البلاغة فقد اتخذت كشواهد لعلم المعاني وعلم البيان وعلم البديع فهي أساسيات البلاغة. ويعظم شعر الشاعر عندما يأتي فيه التأويل وقوة الألفاظ كقول امرؤ القيس.

إذا أقامتا، تضوع المسك منهما نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فنجد منهم من قال أن المعني تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا وقول آخر إن معني تضوع نسيم الصبا كالمسك منهما أما القول الأخير فهو إنه تضوع المسك منهما كتضوع نسيم الصبا [1].

(د) الألفاظ والأساليب:

من الصعب تحديد قالب الألفاظ الذي حوته المعلقات فهناك اختلاف بين المعلقات في استخدام الألفاظ والأساليب بل هناك اختلاف داخل المعلقة الواحدة فألفاظها ما بين الخشونة والرقة والجزالة والسلاسة كما تختلف فيما بينها من جانب احتوائها على الغريب من الألفاظ إذا كان هذا في مواضع أو في أجزاء من المعلقة الواحدة.

ونعزي هذا الاختلاف إلى تعدد أغراض القصائد مما أدي إلى اختلاف لغة المعاني والأغراض فالألفاظ التي نستخدمها للوصف تختلف من ألفاظ الفخر أضف إلى هذا لغة الشاعر نفسه فهذه تحددها طبيعته ونشأته إذا كانت حضرية أو بدوية فالحياة الخشنة لا تتلاءم معها الألفاظ الرقيقة وحياة الترف والنعيم لا تلاؤمها الخشونة وغلاظة الألفاظ.

---

[1] المعلقات في كتب التراث، عبد الفتاح المصري ، ص٦٨.

وبما أن المعلقات هي الصورة المثلي للشعر فلغة المعلقات هي الصورة المثلي للتعبير عن الشعر [1].

وهي من أهم مصادر اللغة فقد بني عليه النحويون بعض قواعدهم باللجوء إلى الاستشهاد بألفاظه ومعانيه لتلك القواعد التي وضعت وتطلع القدماء ونهلوا منها فنون البلاغة كما ذكرنا سابقاً

ومن المعلقات أيضاً استخرجت شواهد على عادات العرب وتقاليدهم من الجاهلية فمثلاً عندما يجمعون على أمر الحرب يقومون بإشعال النار بطريقة خاصة ويطلقون عليها نار الحرب. فقال عمرو بن كلثوم عند افتخاره بإعانة قومه لبني نزار في حربهم على اليمن فقال:

ونحن غداة أو قد في خزاز رفدنا فوق رفد الرافدينا [2]

ونجد أن ابن قتيبه قد اعتمد على المعلقات في الاستدلال والاستشهاد بأبياتها في كتابه المعاني الكبير كما جاء الشريف المرتضي في شرح الأحاديث النبوية إلى المعلقات ونجد هذا في شرحه لحديث النبي (ﷺ) ((إن الميت يعذب في قبره بالنياحة عليه)).

فقال إنما قال (ﷺ) أن الجاهليين كانوا يرون البكاء عليهم والنواح يوضح مكانة ومقام هذا الميت لذلك يأمرون به ويؤكدونه في وصاياهم به وهذا مشهور عنهم كما في قولهم.

فإن مت فانعتيني بما أنا أهله وشقي على الحبيب يا أم معبد

---

[1] معلقات العرب بدوي طبانة، ط ٢، ص ٣٤٨.

[2] المعلقات في كتب التراث ، عبد الفتاح المصري ، ص٦٩.

لم تتساوي المعلقات عندما اعتني بها القدماء فقد كان لمعلقة امرئ القيس النصيب الأكبر فكانت الاستشهاد منها وكثر الحديث حولها ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه المعلقة قد احتوت على الكثير من فنون القول والجديد من المعاني حتى رجحت معلقته على بقية المعلقات فتوج شاعرها أميراً وقائداً للشعراء وفي هذا يقول بن رشيق أن امرؤ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوه ولكن سبقهم إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها لأنه قيل أول من لطف المعاني، ولا يعني هذا إهمال بقية المعلقات فقد امتدت يد النقاد إلى كل المعلقات ولكن هناك تفاوت في نصيب كل معلقة من حيث الانتقاد فهي مدار الحديث على مدى القرون فلا تكاد تخلو قضية من قضايا النقد إلا وكان هناك نصيب للمعلقات فيها فقد اهتموا باستخراج وتوضيح عيوبها وزمها أو استبيان محاسنها ومدحها.

(٢) ما قيل في بناء قصائد المعلقات :

وقال فيه ابن رشيق (البيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكة الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة وساكنه المعني ولا خير في بيت غير مسكون، وصارت الاعاريض والقوافي كالموازين والأمثل كلابينة أو كالأواني والأوتاد لأخيبه، فأما ما سوي ذلك من محاسن الشعر ، فإنما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لا تستغني عنها) [1].

والبيت الشعري هو ما كان تام المعني ولا يحتاج إلى تالٍ وإلا فسمي مبتوراً ونجد هذا في قول امرئ القيس:

فقلت له لما تمطي بصلبه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

---

[1] المصدر السابق.

إلا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فالمعني لم يكتمل عند البيت الأول فكان في حوجة إلى الثاني واعتبر النقاد هذا عيباً وأطق عليه التفحين وهناك أيضاً الخلط والتخبط في البيت الشعر وهو تنافر الكلام مع استقامة المعني وذلك في قول طرفة:

لست بحلال التلال مخافة ولكن متي يسترفد القوم أرفد

لم ينسي القدماء أن يعتنوا بوحدة القصيدة وقال الحاتمي (مثل القصيدة في تناسب صدروها وأعجازها، وانتظام نسيبها بتصريحها كالرسالة البليغة، والخطبة الموجزة، لا ينفصل جزء منها عن جزء) [1].

وقد اعتني النقاد ببداية وخاتمة القصيدة فعلى الشاعر أن يحسن البداية كما فعل امرئ القيس في مطلع معلقته (قفانبك....) فهو قد بكي واستبكي ووقف واستوقف ذاكراً الحبيب وداره كل هذا جاء في الشطر الأول فقط من البيت فجاء فيه عزوبة اللفظ وسهولة العبارة وكثرة المعاني ونفس هذا البيت أعيب عليه شطره الثاني فلم يذكر فيه سواء تحديد المنزل الذي يبكيه.

ثم ننتقل إلى ختم القصيدة فقد قال في ذلك ابن رشيق (من العرب من يختم القصيدة فيقطعها، والنفس بها متعلقة وفيها راغبة منتهية ويبقي الكلام مبتوراً كأنه لم يتعمد جعله خاتمة كما في قول امرئ القيس).

كأن السباع فيه غرقي غدية بأرجائه القصوى أنا بيش عنصر [2]

---

[1] نقلاً عن المعلقات في كتب التراث.عبد الفتاح المصري ، ص٧٠.

[2] معلقات العرب، طبانة، ط ٢، ص٣٨٥.

كما وقف النقاد على قضية الضرائر الشعرية وهي مخالفات مسموح بها في أحكام اللغة بخروجه قواعدها والعروض وكل ذلك لحرمهم على جمال الصياغة اللفظية والعناية بالمبني ولكن عوها من عيوب التكلف رغم ما تضيفه إلى جمال الشعر ولذلك أختلف النقاد من معارضتهم إلى الضرائر واستعمالها في الشعر لتأثر بعضهم بأئمة اللغة والنحو فنتج من ذلك ظهور ضروب من الضرائر. (٣)

ما قيل في شرح المعلقات:

لقد لاحظنا اختلاف القدماء في عدد من الأمور والأبيات فهم اختلفوا في نسبة البيت وروايته وانتقدوا معانيه وألفاظه ومضامينه وأخيراً نجد أيضاً قد اختلفوا في شرحه وهذا الانتقاد لم يكن حصراً على النقاد بل لدى النحاة والبلاغيين والأدباء والشراح فقد نجحوا في التمييز بين الجيد والردئ والفصل بين المحاسن والعيوب كما عند الزوزني والتبريزي.

ولقد وجد أن هنالك اختلاف في عدد الأبيات بين رواية شارح وآخر.

أولاً:- نجد أن هنالك معلقات تطابقت في رواية الشراح الذين رووها في عدد الأبيات كما هو الحال في رواية ابن النحاس والتبريزي وابن الأنباري لمعلقة زهير ومعلقة امرئ القيس وهذا لا يدل على تساوي عدد الأبيات وألفاظها فنجد الاختلاف في رواية بعض الأبيات من حيث ترتيبها وألفاظها.

ثانياً:- اختلاف الشراح في عدد الأبيات وقد نجد هذا الاختلاف في بيت واحد أو اثنين أو حتى ثلاثة وهذا في رواية ابن الأنباري وابن النحاس لمعلقة الحارث ورواية الأنباري والتبريزي لمعلقة عنترة.

ثالثاً:- وجود فروق في رواية بعض الشراح لبعض المعلقات وتحديد عدد أبيات كل معلقة فنجد مثلاً في رواية الزوزني لمعلقة عمرو بن كلثوم أنها مائة وثلاثة بيتاً وعند الأنباري أربعة وتسعين بيتاً وأبن النحاس ثلاثة وتسعون بيتاً.

وعند التبريزي ستة وتسعين بيتاً أما القرشي فقال أنها مائة وأحد عشر بيتاً فقد شذ عن بقية الشراح بتلك الزيادة الكبيرة في الأبيات وقد شمل هذا الاختلاف ترتيب الأبيات وألفاظها ومن أمثلة ذلك ما رواه الأنباري عن معلقة زهير في بعض أبيتاته (١١-١٥).

ووركن السوبان يعلون متنةُ عليهن دلُ الناعم المتنعم
كأن فتات العهن في كل موقف وقفن به حب ألفنا لم يحطم
بكرن بكوراً واسترخن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد في الغم
فلما وردن الماء زرقا حمامَةُ وضعت عصى الحاضر المتخيم
وفيهن ملهي للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم [1]

ونفس هذه الأبيات رواها الزوزني على النحو الآتي:

ووركن في السوبان يعلون متنه عليهن دل الناعم المتنعم
بكرن بكروا واسترخن بسحرة فهن ووادي الرس كاليد في الفم
وفيهن ملهي للطيف ومنظر أنيق لعين الناظر المتوسم
كأن فتات العهن في كل منزلٍ نزلن به حب ألفنا لم يحطم
فلما وردن الماء زرقا جمامة على كل قيني قشيب ومفأم [2]

---

[1] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، ص ٢٤٨-٢٥٢ لابن الانباري مخطوطة بدار الكتب ص٢٤٨.٢٥٢.

[2] شرح المعلقات السبع الزوزني مطبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م ، ص ٨٩-٩٩.

وعندما حاولنا أن نوازن بين عدد أبيات المعلقات في الشروح مع عددها في دواوين الشعراء ظهرت لنا فروقات كبيرة من حيث العدد والألفاظ

وإذا عزمنا على معرفة سبب كل هذا نعود إلى البداية وهي الاعتماد على النقل الشفوي والرواية الشفوية بدلاً من التدوين والكتابة فتولد هذا الخلاف ايضافة على ظهور طبقة الرواة المصلحين للشعر فكان لكل منهم دورة في التعديل والتصحيح حسب ذوقه ومذهبه العلمي.

فوجد النقاد فرصتهم في وضع الأحكام النقدية فكانوا في أغلب الأحيان يلجأون إلى مقارنة الروايات ببعضها فيميزون الجيد من الأجود ويبينون السابق من اللاحق والمقلد من المبتكر.

المبحث الأول
شعراء المعلقات السبع

وهنا سوف نتناول حياة هؤلاء الفطاحل من شعراء الجاهلية والذين اعتبرهم مؤسسي دعائم الشعراء العربي فعلى نهجهم قد سار الشعراء وأبدعوا وبرعوا في كتاباتهم متخذين من شعراء المعلقات قدوة لهم لذا نرى من حقهم علينا أن نترك مجالاً لهم ليحدثونا عن حياتهم ونشأتهم من خلال ما جمعه الرواة والأدباء عنهم.

وسوف نطلع على نسب كل واحد منهم والى أي القبائل ينتمي وكيف كانت نشأته في تلك البيئة العربية التي عرفت بقساوت طبيعتها عليه في حطه وترحاله وكيف تثني لذلك العربي التغلب على تلك الصعاب وكيف نفسه معها.

أيضاً سوف نتطرق إلى منزلة كل شاعر من شعراء المعلقات بمعرفة مكانته بين بقية الشعراء وتحديد الفئة التي ينتمي إليها مع التطرق إلى أشعارهم وما تسمت به تلك الأشعار – فلنبدأ بأميرهم.

امـرئ القيس

ينتمي إلى قبيلة كندة وهي قبيلة يمنية هو امرئ القيس بن حجر الكندي ولد في نجد وأبوه ملك على بني أسد وغطفان وقيل إن أمه فاطمة بنت ربيعة أخت كليب والمهلهل وقد اختلف في اسمه وقد اشتهر بام جندماً ويكنه أبو وهب وأبى الحرث. كما له ثلاثة ألقاب وهى ذو القروح والزائر والملك الضليل [1]

وكان هو أصغر أبناء حجر فقد نشأ فى نجد أميراً ثم ألف التنقل مع نفر من أصحابة في أحياء العرب للهو والصيد ويقال طرده أباه لأنة يقول الشعر وكان ميالاً إلى القصف والفسق.

فقد نشأ في بيت واسع الجاه فترعرع في الترف وظل على ترحاله إلى أن جاءه نعى أبيه فأخذ يستنصر القبائل للأخذ بالثأر لأبيه من بني أسد فاستنجد بقبيلتي بكر وتغلب فأعانوه على بني أسد حتى أخذ بثأره ولكنه كان يطمع في استعادة ملك أبيه ولكن لم يتثنى له ذلك [2].

وامرئ القيس من أقدم الشعراء الذين وصلت إلينا أخبارهم وهو شاعر الوجدان توج على رأس الشعراء الذين جاءوا معه وبعده مستندين على أنه أول من وقف على الإطلال وأول من شبه النساء بالغزلان والخيل بالعقبان [3].

وتميز شعره بالانسجام والائتلاف اللفظي فحرت منه الأجراس الموسيقية التي تطرب لها الأذن فتدفعها إلى النفس بما فيها من ألوان وتصور وشعور ولغة الشعرية مألوفة تعبر عن حقيقة المعاني وألفاظها تعبيراً قوياً

---

[1] تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، د. نوري حمودي دار النشر جامعة بغداد ص ٢٨٣.

[2] أشعار الشعراء الستة الجاهليين، شرح د. عبد المنعم خفاجي، ج ١، دار الجيل بيروت، ص ٦.

[3] تاريخ الأدب العربي، د. علي فروج ص ١٨٧.

وهذه الأجراس تقوم على ألفاظ مفردة كقوله: "يغط غطيط البكر" أو على انسجام التراكيب كما في مطلعه "قفانيك" أو على تراعى الحروف والحركات كما في قوله: "مكر مفر مقبل مدبراً معاً" [1] لهذا كان تميز أسلوبه كما تميز بلغته وموضوعاته وروحه فاعترف الناس له بإمارة الشعر دون يطمع فيها.

وتوفي شاعرنا في عام ٥٦٠م-٨٠ ق.هـ.

طرفة بن العبد: (الشاعر الشاب)

اسمه عمرو بن العبد بن سفيان من بني سعد بن مالك بن ضبيعة من بكر بن وائل أما أمه فهي وردة بنت عبد العزي من بني ضبيعة بن ربيعة بن نزار

نشأ طرفة يتيم الأب في بيت عز وترف فأخذ ينفق ماله في اللهو والخمر والنساء دون حساب فضيق عليه أعمامه وجاروا على أمه فأخذوا حقها فهددهم طر فة في أبيات من الشعر:

ما تنظرون بحق وردة فيكم صغر البنون ورهط وردة غيب

قد يبعث الأمر العظيم صغاره حتى تظل له الدماء تصبب

والظلم فرق بين حيي وائل "بكر" تساقيها المنايا "تغلبً" [2].

طرفة شاعر صاحب شخصية واضحة في شعره وله مذاهب في حياته فقد اجتمع فيه طيش الشباب وحكمة الشيوخ فقد أعجب المستشرقون كثيراً بشعره فهو صور حياته بمطامحها وآلامها وأحداثها.[3]

---

[1] أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، بطرس البستاني، ج ٢، ص ١٠٦.

[2] أدباء العرب، بطرس البستاني، ج ٢، ص ١١٤-١١٥.

[3] الشعراء الستة الجاهيين خفاجة ج١ ، بيروت ، ص ١٠.

نرى أن طرفة قد أجاد قول الشعر رغم حداثة سنه وهو من أصحاب المعلقات المقدمين بإجماع الآراء ويتميز شعر طرفه بمتانة التراكيب مع قليل من الإبهام وقد برع في شعر الحماسة والفخر والهجاء والحكمة التي استمداها من حياته

ووضعه ابن سلام في الطبقة الرابعة لقلة شعره عند الرواة ولكن قال فيه أنه أجود شعراء الطويلة أما بن رشيق فقد قال ان معلقة طرفة فضلها العلماء على سائرمعلقات الشعراء ويعود هذا إلى ما احتوته من تصوير صادق لحياة البداوة والدقة والبداهة من الوصف و التشبيه وقوة التعبير [1].

وقد قتل طرفة وهو شاب في العشرين أو الخامسة أو السادسة والعشرين من عمره فقد اختلفت الروايات في هذا ويقال أن شدة هجائه وسلاطة لسانه كانت السبب في قتله [2].

زهير بن أبي سُلمي:

يرجع في نسبه إلى مزينة وهي بنت كعب بن ربوة وأم عمر وبن أد إحدى جدات زهير أبيه وهو بيعة بن رياح فقد تزوج من بني سمم ابن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان و في منطقة نجد وهناك ولد زهير بن أبي سلمي في عام ٥٢٠م وترعرع فيها ومات والده فتزوجت أمه أوس بن حجر فنشأ زهير في كنفه [3].

ولم يحظ شاعر في الجاهلية ما حظيه به زهير فقد كان أبو شاعراً وخاله بشامة بن الغدير الغطفاني شاعراً وأختاه سلمي والخنساء شاعرتين وكان زوج أمه أوس ابن حجر شاعراً فقد روي عنه زهير ونظم وقفه شعره ومكث زهير عند بني مرة فكثر

---

[1] أدباء العرب، بطرس البستاني، ص ١٢٣.

[2] الشعراء الستة الجاهليين، تحقيق عبد المنعم خفاجة، ج ١، ص ٢٧.

[3] تاريخ الأدب العربي ، شوقي ضيف، ص ٣٠٠.

ماله وتزوج ليلي التي كانت تكني أم أوفي ثم أتي لها بضرة يقال لها كبشه بنت عمرا من غطفان فجاءت له بكعب ويجيراً فلم تتقبل أم أوفي الأمر فأسأت إلى زهير فطلقها وندم على ذلك وأخذ يذكرها في شعره كلما سنحت له الفرصة بذلك [1].

ولقد كانت بلاد غطفان منبع العداء وميدان الحرب بين عبس وذبيان فكانت هذه الحرب مصدر للثروة كبيرة من الأدب المتنوع المليء بالفخر والهجاء والتحريض للقتال والأخذ بالثأر ولكن زهير خالف امرئ القيس فقد كان شعر يدور حول الصلح بين القبيلتين وتوضيح مخلفات هذه الحرب كما لم يخفي إعجابه بهرم بن سنان والحارث بن عوف لسعيهم إلى الإصلاح بين القبيلتين والالتزام بدفع الديات [2].

وزهير من الثلاثة المقدمين على شعراء الجاهلية فقد وصفه سيدنا عمر بن الخطاب بأنه "لا يعطل الكلام" أي لا يخلط بينه وكان يتجنب الموحش من الكلام ولا يمدح أحداً إلا بما هو فيه وبرع في الحكمة وقد اعتني زهير كثيراً بما قال فكان ينقحه ويهزبه وقيل انه يمكث في القصيدة أربعة أشهر ويعرضها علىأصحابه في أربعة أشهر وتفضل على هذا حتى تكمل الحول لذلك عرفت قصائده بالحوليات [3].

فوراثته للشعر من أسرته جعلته دقيقاً في تنقيح شعره فقدم أروع ما عنده أيضاً الحروب التي شهدها كانت دافع لتحريك الشعور فيه فترجمة في كلمات فكان شعره ناضجاً وقد لعب التنافس بين شعراء جيله في نضوج شعره.

أيضاً كان زهير يدقق اختيار الألفاظ السهلة والقوية.

---

[1] تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، نوري حمودي ص ٣١٥.

[2] الشعراء الستة الجاهليين، تحقيق عبد المنعم خفاجة، ج ١، ص ٢٦٩.

[3] تاريخ الأدب العربي ، فروج ص ٢٣١.

وقال البغدادي في خزانة الأدب أنه مات قبل البعث بسنة ولكن تضاربت الروايات حول ذلك ولكن ما اتفق عليه أنه مات على جاهليته [1].

لبيد بن ربيعة:

هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري وأمه تامر بنت زنباع من بني عبس، تزوجها أولاً جر بن خالد بن جعفر فجاء منها بعمر الملقب بإربد ثم تزوجها ربيعة بن مالك فولدت له لبيد وعندما قتل ربيعة كان هو في السنوات الأولى من الطفولة فعاش في كنف أعمامه .

وقد نبع لبيد في نعمة من العيش فقد كان والده من الأغنياء والكرماء حتى لقب بربيعة المفترين ولكن لم يستمر الوضع وبعد هدوء الأحوال عاد لبيد و قومه إلى ديارهم الأولى [2].

وبدأ نجمه يلمع عند قومه وهو مازال في ريعان شبابه فهو لسان قومه فقد سخره لخدمة قبيلته وتصعيدها .

كما برع بشعر الرجز والخطابة ولكن نجد أن النقاد قد اختلفوا في تقدير شعره فمنهم من رآه سهلاً رقيق الحواشي فهؤلاء نظروا إلى أشعاره ذات السمات الدينية ومنهم من عده مثالاً لخشونة الكلام وصعوبته وهؤلاء نظروا إلى الشعر الذي يصور الصحراء بما فيها من مناظر. والناظر لقصائد لبيد يجد أن الغالب عليها هو الطابع الديني ويعني هذا أن روح التدين كانت في نفسه وهو ما يزال في الجاهلية ولكن تعمق بعد ظهور الإسلام [1].

---

[1] أدباء العرب، بطرس البستاني، ص ١٤٣.

[2] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروج، ج ١، دار العلم للملايين بيروت، ص ٢٣١.

[1] ديوان لبيد بن ربيعة ، احسان عباس مطبعة الكويت ١٩٦٢م ص٣٢.

ولقد قال أبو زيد القرشي فيه: "لبيد أفضلهم في الجاهلية والإسلام، أقلهم لغواً في شعره". وجعله أبن سلام من الطبقة الثالثة وقال فيه: "كان عذب المنطق رقيق حواشي الكلام".

وكان خير شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويدون أيامهم ووقائعهم وفرسانهم [2].

ويتضح لنا أن البيد قد عمر و أدرك الإسلام واعتنقه ثم انتقل إلى الكوفة حتى مات فيها في أواخر خلافة سيدنا عثمان.وقد تجاوز عمره المائة عام

عنترة:

هو عنترة بن شداد بن عمرو، وقيل ابن عمرو بن شداد بن معاوية ابن قراد العبسي، من أهل نجد ينتهي نسبه إلى مضر ويكني بأبي المفارس لغاراته ، ويلقب بعنترة الفوارس لشجاعته وعنترة الغلحاء لانشقاق شفته السفلي وكان من أحد أغرابه (السود) العرب المشهورين في الجاهلية وأمه زبيبة الحبشية سباها أبوه في أحدى غزواته فجاء منها بعنترة وكان لها أولاد من غيره ولكن والده لم يعترف به كعادة العرب فهم يستعبدون أولاد الإماء، ولا يعترفون بهم إلا إذا ظهرت عليه النجابة وقد أمضي عنترة فترة من حياته عبداً إلى أن أعتقه والده فقد طلب [1] منه أن يكر فرد عليه عنترة قائلاً: "العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر".ولقد شارك عنترة في معارك كثيرة فقد عرف بشجاعته وبسالته.

---

[2] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروج، ج ١، دار العلم للملايين بيروت، ص ٢٣٢.

[1] ديوان عنترة ، عبد المنعم شلبي ، شركة الفن للطباعة ص ٢٥.

أما عن حبه لعبلة فهي بنت عمه مالك بن قراد فقد اتسع خياله بحبها فنظم القصائد الطوال وسعي للوصول إليها فغامر بنفسه من أجلها وواجه الأهوال والصعاب ولكنه لم يفز بها[2]

أما عن معلقته فقد تضاربت فيها الروايات فقد قيل أن بسبب نظمها أنه بعد أن تحسن وضعه باعتراف والده به سبه رجل من بني عبس وذكر سواده وسواد أمه وأخوته وأنه لا يقول الشعر فسبه عنترة وافتخر بنفسه فقيل أنها أول ما قاله عنترة أما ما دون ذلك فلم يكون قول البيتين وثلاثة. ولعنترة قصائد كثيرة قبل المعلقة [3].

عمرو بن كلثوم التغلبي:

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب من بني تغلب وأمه من تغلب فهي بنت المهلهل الشاعر كان مولده في بداية القرن ٦م وأصبح سيداً على قومه وهو صغير السن تميز بين قومه بالشجاعة والتفاخر بالنفس وكانت له عداوة مع عمرو بن هند لأن أمه أذلت وأهانت أمه في حادثة مشهورة فتفاخر في شعراء تغلب بقتله فعمرو بن هند [4].

أما شعره فلم نجد منه الكثير غير معلقته وبعض من الأبيات والقليل من المقطوعات متفاخراً فيها بنفسه وقومه مادحاً يزيد بن عمر وهاجياً عمرو بن هند والنعمان أبي قابوس.

ورث عمرو أكثر صفاته عن جده المهلهل فهو رقيقاً ولیناً يكثر عنده التكرار ولشعره فوائد تاريخية تظهر في معلقته وفي غيرها فعند هجيه للنعمان علمنا أن أم النعمان وأبنته كانتا صاغيتين وكذلك أخاه وفي معلقته توصلنا إلى أن النساء كن يتبعن الرجال في الحرب فمعلقته أفسحت له مكانة في الشعر وذلك لسهولتها

---

[2] أدباء العرب، بطرس البستاني، ص ١٦٤-١٦٥.

[3] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروج، ص ٢٠٨.

[4] ديوان عمرو بن كلثوم ، شرح مجيد طراد، دار الجيل بيروت ص٣٢.

وانسجامها وفي رنتها الموسيقية المطربة أصدق مثال للشعر الغنائي مازجاً لها الملاحم القتالية ممجداً فيها قومه وتصويره لحياة البداوة مضيفاً إليها إعجابه بمحبوبته إليها فالفخر عنده عاطفي ليس للعقل سلطة عليه [1].

عاش عمرو بن كلثوم حتى بلغ الكبر وتشبعت نفسه بالغزوات والانتصارات وارتشف من الحياة حلوها ومرها وعند اشرف على الموت جمع أبناءه وقال: وصيته رغم أن هناك شك حولها وحول وفاته فقبل أنه عندما أسر عند بني حنيفة ظل يشرب الخمر حتى مات بها ويزعم أنه بلغ من العمر مائة وخمسين سنة [2].

الحارث بن حلزة:

هو الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط [3].فهو شاعر مشهور من شعراء المعلقات تميز شعره بالسهولة والفصاحة اللفظية ووضوح التعبير فدار شعره في الحماسة والفخر وبعض الحكمة وحسن التعليل فقد كان يبدأ قصيدته

بالتغزل وذكر الفراق ولكنه لا يطيل فيه ثم ينتقل إلى وصف ناقته وينتقل أخيراً إلى الغاية التي يهدف غليها من نظم شعره[1].

فمن خلال قصائد تجد تلك الحقائق التاريخية التي تتجمع فيها كل الطوائف العربية معرضاً أيامهم وأخبارهم وهذا دليل كافي على نفي قول أنه شعره ارتجالي في

---

[1] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروج ص٢٣٣.

[2] أدباء العرب ، بطرس البستاني ، ص ١٧٤-١٧٥.

[3] ديوان الحارث شرح مجيد طرد، دار الجيل بيروت، وشرح القصائد العشر للتبريزي، ص ٣٦٨

[1] تاريخ الأدب العربي ، عمر فروج ، ص٢٣٣.

أكثر أبياته تتطلب شرح مستفيض لعدم وضوح المعني فشعر وشعره بشيء من الإيجاز [2].أما معلقته فهي من أجود القصائد العربية فقد احتوت على حكمة عميقة وقد قال الدكتور إميل يعقوب: "ولهذه المعلقة قيمة مزدوجة: قيمة تاريخية وأخرى أدبية". أما التاريخية فتكمن فيما تفيدها عن المعارك بين تغلب وكندة وتغلب والهجاء وتغلب وبين عتيق وتغلب وفظاعة وتغلب وإياد وتقليل وتميم وفي كل هذه المواقع كانت الغلبة على تغلب. هذا إلى انتصارات بكر على تغلب في ملحمة ومنا حربهم للمناذره ملوك الحيرة في يوم الحيازين وفي بلاد الغساسنة.

أما قيمتها الأدبية فتمكن فيما فيها من دقة الوصف، وحسن السبك وتنوع طرق التعبير وبلاغة الإيجاز [3].

ولقد مات شاعرنا في نحو سنة ٥٠ ق.هـ ٥٧٠م وعمره مائة وخمسين سنة [4].

---

[2] أدباء العرب، بطرس البستاني ، ص١٧٥.

[3] ديوان الحارث شرح مجيد طرد، ص ١٠.

[4] أدباء العرب، بطرس البستاني ، ص١٧٦.

المبحث الثاني
القيم الإجتماعية فى المعلقات السبع

أ/ الوفاء والأمانة :

فـي العـالم التحضـر يوجـب علـى النـاس الوفـاء بمـا يتعـارفون عليـه مـن عهـود وصكوك ووثائق مدونـة، وعقود مسجلة وشـهود، ولولا ذلك مـا أوفـي أحد لأحد، ولكن رغم هذا نجد هناك من هم غير أوفياء ولا أبالغ إذا قلت أن الأمم نفسها تدوس على عهودهـا ومواثيقهـا وتـري فـي ذلـك نوعـاً مـن التعـالي ودلالـة علـى القـوة والعظمـة – وتاريخنـا الحـديث وبخاصـة العربـي ملـئ بهـذا النـوع متمثـل فـي القـوة الاسـتهتارية التـي تنكرت لكثر من العهود والاتفاقيات والأحلاف.

أما البيئة العربية في العصر الجاهلي فقد كانت تخلوا من الضمانات المسجلة أو الوثائق المدونة، فكانت الكلمة التي ينطقها الرجل هي عهد يجب أن يفئ بها وإلا عرض شرفه للتجريح ومرؤته للانتقاص، فالوفاء إذن من أخلاق العرب الأصيلة فهم وقد كانـت لهـم تفـانين تـذكرهم بالوفـاء فقد كـانوا يتعاقـدون مـن المحالفـات علـى الـدم والـرب والمـاء والطيـب ويتمسـحون بالكعبـة قاصـدين توكيـد الحلـف ومصـاحبته بعمـل يذكر بالوفاء.

وفي ذلك يقول عوف بن الاحوص بأنهم ملوك ولكنهم لا يتكبرون على الناس فيجيبهم الناس بتحية العامة ثم أنهم يفون بنذورهم.

ملوك على أن التحية سوقة آلا يا هم يوفي بها ونذورها[1]

وقد ضربوا المثل في الوفاء بالسموأل بن عادياء، وكان امرئ القيس أودعه مائة درع فأتاه الحارث بن ظالم ويقال الحارث بن أبي شمر الغساني ليأخذها منه فأبى

---

[1] المفضليات للضبي ، ج ١، ص ١٧٦.

السمؤل ان يسلمه الدروع، فأخذ الحارث أبناً له وكان الغلام في الصيد – فقال: أما أن تسلم الدروع إلي أو أقتل أبنك.فرفض السمؤل فضرب الحارث وسط الغلام بالسيف فقطعه قطعتين.

وفيت بذمة الكندي إني إذا ما ذم أقوام وفيت

وأوصي عادياء يوماً بألا تهدم يا سمؤل ما بنيت

يبني لي عادياء معنا حصينا وما كل ما شئت استقيت

وبعد هذه المثال من تراث العرب الأدبي يتبين أن الوفاء كان خلقاً أصيلاً في العرب، بسببه نصروا الحلفاء ودفعوا حياتهم ثمناً للوفاء وتاريخهم في الجاهلية ناطق بذلك وشاهد عليه.

الـوفـاء والأمانة في المعلقـات

شـعراء المعلقـات جميعـاً تحـدثوا عـن الوفـاء. وفـاء المحـب لحبيبتـه وكـان هـذا الحديث فـي مطـالع معلقاتهم باستثناء عمرو بن كلثوم الذي استهل معلقته بالحديث عن الخمر والشاربين ثم تلا ذلك حديثه عن محبوبته، فهذا وفاء صادر عن قلوب محبة.وبعضهم تحدث عن الوفاء بالعهود والاحترام للمواثيق، ولذلك نجد الوفاء في المعلقات على نوعين وفاء المحب ووفاء العهود .

أما النوع الأول ففي معلقة امرئ القيس:

نجد قد استهل معلقته بالبكاء على آثار محبوبته ووقوفه على إطلالها، ويدرك أصاحبه أثر هذا البكاء فيه فيطلبون إليه أن يتجمد بالصبر خشية أن يهلك نفسه أسي ولوعة وتلك آيات على الوفاء:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلبسقط اللوى بين الدخول فحومل

فتوضح فالمقرات لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

ترى بعر الآرام من عرصاتها وقيعانها كأنه حبَ فلفل

كأن غداة البين يوم تحملوا لدى سامرات الحي ناقف حنظل

وقوفاً بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك أسي وتجمل

وإن شفائي عبرة مهراقة فهل عند رسم دارس من معول

وفي معلقة طرفه:

يبدأ ببكاء أحبابه وتفرسه في ديارهم، ثم يدرك أصحابه ما يعانيه من ألم الفراق ومتاعب الوفاء فيطلبون منه أن يتجلد مخافة أن يهلك نفسه فهو وفي لمحبوبته :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيُهم يقولون لا تهلك أسى وتجلد

أما زهير فقد استهل الحديث عن محبوبته أم أوفي وعن ديارها بعد مرور عشرين عاماً فيعرف أنها كانت منزل أحبابه، ولكنه عرف ذلك بعد جهد. فلما عرفها حياها ودعا لها، وذلك وفاء لمحبوبته التي كانت في الزمن البعيد تسكن تلك الديار:

أمن أم أوفي دمنة لم تكلم بحومانة الدارج فالمتلثم

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

بها العين والآ رام يمشين خلفة وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

وقفت بها من بعد عشرين حجة فلأيا عرفت الدار بعد توهم

أثافي سفعاً في معرس مرجل ونؤيا كجزم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها: ألا أنعم صباحاً أيها الربع واسلم

وفي معلقة لبيد:

يفتحها بذكر ديار الأحباب، فيصف الديار وما حدث بها بعد مفارقة أهلها لها ويصور هطول المطر على الديار، وأنها أصبحت مرتاع للظباء، وأبقار الوحشي وأنه وقف يسأل تلك الديار عن أهلها الراحلين عنها، وهذا الوصف الذي استغرق احد عشر بيتا تدل دلالة كبيرة على الوفاء ويقول:

عفـت الـديار محلهـا فمقامهـا بمنـــي تأبـــد غولهـــا فرجامهـــا
فمــدافع الريــان عُــري رســمها خلقاً كما ضـمن الـوحي سـلامها
دمـن تجـرم بعـد عهـد أنيســها حجــج خلــون حلالهــا وحرامهــا
رزقـت مرابيـع النجـوم وصـابها ودق الرواعـــد جودهـــا فرماهـــا
مــن كــل ســارية وغــادٍ مــدجن وعيشـــــة متجـــاوب إرزامهـــا
فعــلا فــروع الايقهــان واطفلــن بـــالمجلهتين ظباؤهـــا ونعامهـــا
والعــين ســاكنة علــى أطلائهــا عُـــوذاً تأجـــل بالفـــاء بهامهـــا
وجلا السيول عن الطلول كأنها زبـــر تجـــد متونهـــا أقلامهـــا
أو رجــع واشــمةٍ أســف تؤورهــا كففــا تعــرض فــوقهن وســامها
فوقفـت أسـألها، وكيـف سـؤالنا صُـماً خوالـد مـا يبـين كلاهمهـا
عربت وكأن الجميع فأبكروا منها وغودر نويها وثمامها

ثم يعقب ذلك بحديث عن رحلة أحبابه ومقدار شوقه إليهم ثم يصف منازلهم التي حلو بها وكل ذلك آية دالة على وفائه لأحبابه ويقول:

شافتك ظعن الحي حين تحملوا فتنكســوا فطنــاً تقــر خيامهــا
مـن كـلٍ محفـوف يظـل عصـبه زوج عليـــــه كلـــــه وقرامهـــــا
زُحـلاً كـأن نعـاج توضـح فوقهـا وظبـــاء حـــرة عطفـــاً أرامهـــا
حفـزت وذاليهـا السـراب كأنهـا أجــزاع بيشــة أثلهــا ورضــامها

ثم انتقل إلـى الحـديث عـن محبوبتـه نـوار – امـرأة مـن مـرة – التـي تاهـة عنـه وانقطعت بينه وبينها الصلات فقال:

بـل تـذكر مـن نـوار وقـد نـأت وتقطعـــت أســـبابها وزمامهـــا

مريـــة ملـــت بقـــي وجـــاورت أهـل الحجـاز فـأين منـك حرامهـا

بمشـــارق الحبلـــين أو بمحجـــر فتضـــــمنتها فـــــردة فأرقامهـــــا

فصوائق إن أيمنت فمظنة منها وحاف القمر أو طلخامها

وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

بدأها بالخمر وفعلها في شاربها ثم انتقل إلى الحديث عن محبوبته يريد أن يستوقفها ليستخبرها أن كانت لا تزال وفية كما هو أوفي لها أم أنها تنوي القطيعة ويقول:

ففي قبل التفرق يا ظعينا تخبرك اليقين وتخبرينا

ففي نسألك هل أحدثت صرماً لوشك البين أم خنت الامينا

ثم يصور أثر فراق أحبابه في نفسه المحبة الوفية تصويراً ينم عن رقة شعوره وغاية وفائه وبالغ تأثره حيث يقول:

تذكرت الصبا واشتقت لها رأيت حمولها أصلاً حدينا

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته فرجعت الحنينا

ولا شمطا لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

أي ما حزنت مثل حزني كناقة أضلت ولدها فرددت صوتها مع توجعها في طلبها، ولا حزنت كحزن عجوز لم يترك شقاء حظها لها من تسعة بنين إلا مدفوناً في قبوه أي أن حزن الناقة والعجوز دون حزني، ثم يقول أنه تذكر أحبابه وحزن عليهم عندما رأي حمولة أبلها سيقت عشيا لمبارحة الديار، فهذا حزن وفاء وأي فاء.

وعند معلقة عنترة:

والتي استهلها بالحديث عن دار محبوبته التي عرفها بعد شك وتردد، ثم خاطب الدار وحياها ووقف فيها ناقته ليقضي حاجة المتمكن بجزعة من فراق أحبائه وبكائه على أيام وصالها ثم يتحدث عن مكان هذه الديار ويصور بعد مازارها وحبه لها ووفاءه لهذا الحب:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم
يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي
فوقفت فيها ناقتي وكأنها فدت لأقضي حاجة المتلوِم
وتحل عبلة بالجواء وأهلنا بالحزن فالصمان فالمتثلم
حييت من طلل تقادم عهده أقوى وأقفر بعد أم الهيثم
حلت بأرض الزائرين فأصحبت عسرا على طلابك ابنة محرم

ثم يعقب حديثه عن حبه لها ومعاداته قومها ثم يستبعد مزارها بعد أن حلت بعنيزتين وبقي هو بالغليم ثم يقول لها أن كنت أزعمت فراقنا فإنما حدث هذا الرحيل ليلاً وما دلني عليه إلا أبلكم التي كانت تستق حب وسط الديار إيذانا بالرحيل لانقضاء فترة الانتجاع ويقول في هذا:

علقتها عرضاً واقتل قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم
ولقد نزلت فلا تظني غيره مني بمنزلة المحب المكرم
كيف المزار وقد تربع أهلها بعنيزتين وأهلنا بالغيلم
أن كنت أزمعت الفراق فإنما زمن ركابكم بليل مظلم

مــا راعنــي إلا حمولــة أهلهــا وسط الديار رتسق حب الخمخم

فيها اثنان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الاسحم

وفي معلقة الحارث:

فقد جاءت بدايتها بإعلان محبوبته الفراق عنه فأسف لذلك لأن محبوبته لا يطيب لها المقام.

ثم أخذ يصف ديارها والأماكن التي قضي فيها مع محبوبته أوقاتاً طيبة قبل أن يحدث الفراق ثم يقول أرى في هذه المواضع من عهدت أن أرها فيها – فإنا أبكي اليوم ذاهب العقل وأي شيء يود البكاء على صاحبة فهو وفي لمحبوبته رغم أنها فارقته ويقول في ذلك:

آذنتنـــا ببينهـــا أســـماء رب ثاو يمل منه الثواء

بعد عهدٍ لها ببرقة شماء فأدني ديارها الخلصاء

فالمحيــاة فالصــفاح فــأعلى ذي فتاق فعاذب فالوفاء

فريا ض القطا فأودية الشر بب فالشعبتان فالإبلاء

تلك قصص وفاء الحبين في المعلقات وكلهم قد أوفوا لمحبوباتهم أما النوع الثاني من الوفاء فهو:–

الوفاء بالعهود والمواثيق وقد تحدث عنه بعض أصحاب المعلقات على النحو التالي :

زهير بن أبي سلمي:-

حاول زهير أن يثبت في معلقته الكثير من الحكم والأمثال والأعراف التي كانت سائدة في ذلك العصر فوجدنا من بين تلك الأعراف التي تعد قيمة اجتماعية عن الوفاء بالعهود وثناء على من أوفي بعهده وتقديره له لأنه بوفاته يحول بين نفسه وبين ذم الناس وتعيرهم وهو بهذا الوفاء إنما يصنع خيراً لنفسه وللناس، ويقول:

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبه إلى مطمئن البر لا يتجمجم

أما عمرو بن كلثوم:

فقد أفتخر بنفسه وقومه ويحرص كل الحرص على الإشادة بأمجاد قومه وفضائلهم ، ثم يتمدح بأن قومه أوفيا بعهودهم وإيمانهم ومواثيقهم ويقول معبراً عن ذلك:

ونوجد نحن أمنعهم ذمارا وأوفاهم إذ عقدوا يمينا

الحارث بن حلزة:

سارة على نهج عمرو فقد حاول أن يضفي على قومه المزيد من صفات الجادة والسيادة والشرف مزدرياً بأعدائه بني تغلب معيراً لهم بالنقائض التي يحصيها عليهم من ضعف وجبن وغدر ونقض للعهود، والمواثيق التي وفي بها قومه ممتدحاً بذلك الوفاء مستشهداً عليه بمعرفة الناس له واشتهاره بينهم، مستعظماً فعل من ينقض العهود أو المواثيق.

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء

حذر الجور والتعدي ولن ينـ قض ما في المهارق الأهواء

وبعد: فإذا كان ذلك حديثهم عن الوفاء فليس معني هذا أن الغدر ونقض العهود والتآمر لم تعرف اليهم طريقاً، فقد وحد فيهم هذا وذاك وإلى جانب الأوفياء لابد من القادرين، وإلى جانب المتمسكين بمواثيقهم وعهودهم لابد من الخائفين بها والنا قضين لما فيها، تلك سنة الحياة وطبيعة المجتمعات البشرية في كل أزمنتها وأمكنتها، كذلك كانت البيئة العربية التي عاش فيها أهل المجتمع الجاهلي.

ب / الـــكـــرم

كان الكرم خلق الكثير منهم لذا أصبح من أهم القيم الاجتماعية عند العرب فقد ارتضته لهم بيئتهم وشجعتهم عليه ظروفهم فمدحوا وذموا، ومجدوا الكرماء فقد كانت البادية التي عاش فيها العرب شحيحة بالزاد ضنينة بماء في مجموعها فقضى العربي فيها حياته راحلاً متجولاً، باحثاً عن الماء والكلأ حيث يتوقع وجود الزاد فيحس بشئ من الأمن والطمأنينة.

وكل واحد منهم معرض لأن ينفذ زاده أو يغيض ماؤه، ولهذا يحرص على أن يقوي الضيف اليوم لأنه قد يضطر إلى أن يضاف غدا، فضلاً عن حبهم لكرم لما يجلبه من حسن التحدث وطيب الثناء[1] تعرف يقينا أن الكرم كان يجري من العرب مجري الدم في العروق فقد كان من أسباب سيادة العربي ويقول في ذلك حاتم الطائي:

يقولون لي أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما تقولين سيدا [2]

وافتخروا بأنهم يقدمون للضيف أنفس ما يملكون واشهي ما يأكلون ووضعوا للضيافة أصولاً وقواعد منها أن يلقي الرجل ضيفه ببشر وإيناس وتبسط معه في الحديث ويطيله على المواكله وقال عمرو بن الاهتم فقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً فهذا مبيت صالح وصديق ويقول عروة بن الورد العبسي أو عتبة بن بجير

فراشي فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهني عنه غزال مقنع

أحادثه أن الحديث من القرىوتعلم نفسي أنه سوف يهجع

---

[1] الأغاني ، الأصفهاني ، ج ١٢، ص ١٥٠.

[2] شعراء النصرانية ، لويس مشخو ، ط ١ ، مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت ، ١٨٩٠، ص ١٢٠.

ومما يدخل في الكرم سخاءهم على الأرامل واليتامى والبائسين والسائلين فقال أبن ربع المذلي في رثاء رقيبة:

أعيني ألا فابكي رقيبة إنه وصول لأرحام ومعطاء سائل

فأقسم لو أدركته لحميته وأن كان لم يترك مقالا لقائل [1]

ويقول أبو هلال العسكري: وقد علمت أن حاتما وكعب وهرما لم يجعلوا أمثالاً في الجود لعظم عطياتهم في القدر لأن الواحد منهم إنما كان يقري ضيفا أو يهب بعيرا أو عدد من الشاه، ولكن ذهب صيتهم في السماح وبعد ذكرهم في الجود لأنهم كانوا يعطون وهم محتاجون [2].

ومما يدخل في كرمهم هداية الضيف عندما يسدل الليل أستاره فيهيم الغرباء على وجوههم في الصحراء رجالاً وعلى كل ضامر تستبد بهم الحاجة إلى الزاد والماء والمأوي، فتهديهم النار التي يوقدها الكرام لهداية الضيفان، وقد أكثروا من الحديث عن نار القرى، قال عمرو بن عبد الله العجلي:

إذا أخمدت نيران من حذر القرى رأيت سنا ناري يشب اضطرامها[3]

---

[1] البيان والتبيين، الجاحظ ، ج ١، ص ١٨٢.

[2] الكرماء ، أبو هلال العسكري ، ص ٣٠.

[3] معجم الشعراء، المذياني ، ص ٢٢٣.

الكرم في المعلقات:

ما من احد من أصحاب المعلقات إلا وقد تحدث عن الكرم مفتخرا به أو مادحا لبعض الكرماء أو هاجياً للبخيل والبخلاء لأن الكرم طبيعة فيهم.

معلقة امرئ القيس:

نراه من قدم ناقته طعاماً لهؤلاء العذارى اللاتي من بينهن محبوبته عنيزة أكراماً لها ولهن وذبح الرجل لناقته دليل أكيد عند العرب على الكرم الأصيل ويقول:

ويوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من كورها المتحمل

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

وفي موقف آخر يصور بذله وكرمه وإنفاقه كل ما يقع تحت يده شأنه في ذلك شأن الذئب الذي لقيه في الوادي الفقر ويقول:

فقلت له لما عوى إن شأننا قليل الغني أن كنت لما تمول

كلانا إذا ما نال شيئاً أفاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل

أي أن كلانا إذا ملك شيئاً أنفقه وفوته على نفسه ومن يسعي سعي وسعيك افتقر ثم يصور رحلة صيد قنص فيها ما شاءت له مقدرته ثم قدم ما صاد إلى الأصحاب فأخصب بذلك القوم واشتدوا وأكلوا مما أحرزه لهم فرسه الذي يقنص ثورا ونعجه في طلق واحد:

فعادي عداء بين ثور ونعجةٍ دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل

فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل

معلقة طرفة:

نراه شاباً يريد أن يحصل على الذكر الطيب والسنة والناس فينفي عن نفسه صفة البخيل التي هي صفة من ينزلون التلاع من أبناء السبيل والاضياف ويثبت لنفسه صفة الكرم:

ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد

ثم يزدري على البخلاء وينادي بالبذل والعطاء:

أري قبر نحام بخيلٍ بماله كقبرغوي في البطالة مفسر

ثم يقول بعد ذلك أن الموت يعم الأجواد والبخلاء فيصطفي الكرام ويعطفي كرائم أموال البخلاء أي أن الموت مدركاً الكريم والبخيل فلما البخل.

أري الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

ويري أن ذلك الكرم الذي يتعلي به وجعله أمل حياته تمني أن يكون ذا مال ومكانة مثل قيس بن خالد وعمرو بن مرشد:

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرشد

وكلا الرجلين ما جد كثير المال واسع العطاء غير أن طرفة لا يواتيه حظ عظيم من مال فيلجأ إلى نوع من أنواع الكرم وهو غريباً حين يقصد طرفة نياق هاجرة ليست له ومعه سيفة فيتخير أحسنها فيعقرها ثم يقدم لها لحمها ولحم ولدها فقد كانت حاملاً فهي أجود اللحوم عند العرب لأصحابه فيجاد له صاحب الناقة فيستشير الناس فيما حدث ثم ييأس من دفع طرفة عنه أو حماية أبله منه ويقول طرفة في ذلك:

وبـرك هجـود قـد أثـارت مخـافتي نواديها أمشي بعضب مجرد
فمـرت كمهـاة ذات خيـف جلالـة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
يقـول وقـد تـر الوظيـف وسـاقها ألست ترى أن قد أتيت بمؤيد
وقــال ألا مــاذا تــرون بشــارب شديد علينا بغية متعمد
وقــال ذروه إنمــا نفعهــا لــه وإلا تردوا قاصي البرك يزدد
فظل الإماء يمتلكن حوارها يسعى علينا بالسريف المسرهد

وفي معلقة زهير:

تمجيد رجلين هما هرم بن سنان والحارث بن عوف لأنها بذلاً من كريم أموالهم لقبيلتي عبس وذبيان فأوقفا الحرب التي كانت دائرة بينهما معتقدين أن بذل المال في حفظ السلام واجب عليهما فقيل فى ذلك الكرم الأصيل:

فأقسمت بالبيت الذي طـاف حولـه رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينــاً لــنعم الســيدان وجــدتما على كل حال من سحيل ومبرم
تــداركتما عبســا وذبيــان بعـد مـا تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقـد قلتمـا إن نـدرك السـلم واسـعاً بمال ومعروف من القول نسلم
فأصـبحتما منهـا علـى خيـر مـوطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
تعفي الكلوم بالمئين فأصبحت ينجمها من ليس فيها بمجرم

ويتحدث عن الكرم حديثاً ضمنياً حينما يزم البخلاء ويصور المكانة الدنيئة التي يصل إليها البخيل والتي تؤدي به إلى العزلة والكراهية.

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

ثم يمدح زهير في آخر معلقته القوم الذين يستجيبون لسؤال طالبي الرفد فيعطوهم ثم يلوم من يكثر التسآل:

سألنا فأعطيتهم وعدنا فعدتمومن أكثر التسآل يوماً سيحرم

وفي معلقة لبيد:

يتباهي بالكرم خاصة من فترة البرد وهبوب الرياح الشمالية وهي ابرد الرياح إذ عند ذلك يكف عن الناس عادية البرد بنحو الجزر لهم وإطعامهم.

وغداة ريح قد وزعت وقرة إذا صبحت بيد الشمال زمامها

ثم يعلن لبيد عن لون من الكرم يرتبط بمجالس الشراب وهو أكرام الندامي وتقديم الخمرلهم مهماغلا ثمنها.

أغلي السباء بكل أدكن عاتق أو جونة قدحت وفض ختامها

ثم يتحدث عن الفقراء والمساكين وعطفه عليهم بتقديم الطعام لهم في وقت الشدةفيقدم جفاناعظاممملوءةمرقامكللة بكسوراللحم فى كلب الشتاء وضنك المعيشة:

ويكلون إذا الرياح تناوحت خلجاً تمد شوارعاً أيتامها

ثم يفخر بقبيلته وبخصالها التي أهمها قمع الخصوم في المحافل وعدالة التقسيم بين الأفراد والكرم والإعانة عليه:

أنا إذا التقت المجامع لم يزلمنا لزاو عظمة جشامها

ومقسم يعطي العشيرة حقها ومغذمر لحقوقها هضامها

فضلاً وذو كرم يعين على الندى سمح كسوب رغائب غنامها

من معشر سلت لهم آباؤهم ولكل قوم سنة وإ مامها

فهو كرم سنة لهم آباؤهم ليكسبوا غائب المعالي ويغتنموها ثم يفخر بأن قومه بجودهم على جيرانهم وكرمهم معهم يعدون كالربيع للناس عندما يتطاول العام وتنفذ أذوادهم فهم بمنزلة فصل الربيع:

وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها

وفي معلقة عمرو بن كلثوم:

افتخار بقبيلته وبكرمها فمهم يتعجلون بقتل عدوهم ويتعجلون باكرام الضيف فالتأخير في إكرامه يجلب الشتم والانتقاص:

نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا

قريناكم فعجلنا قراكم قبيل الصبح مرداة طحونا

ثم يفخر بأن قومه غداة أو قوتها نار الحرب في خزازي أعانوا نزارا فوق إعانة المعينين، إذ حبسوا أموالهم بهذا الموضع (ذو اراضى حتى سفت النواق الغزار الألبان النبت القديم كل ذلك لإعانة من يحتاج إلينا في عونه ويقول:

ونحن غداة أوقد في خزاز رفدنا فوق رفد الرافدينا

ونحن الحابسون بذي أراضي‌تسق الجلة الخور الدرينا

ثم يشيد بذلك الكرم العريق الذي شهدت لهم به معد كلها حين يقول مفتخراً بالكرم والبأس ويقول:

وقد علم القبائل من معد إذا قبب بأبطحها بنينا

بأنا العاصمون بكل كحل وأنا الباذلون لمجتدينا

معلقة عنترة:

فهو دائم الكرم في سكره وصحوه ولما كان الكرم في حال السكر، ربما يكون من فعل الخمر وأثرها من شاريها، إذ هي تحمل الشحيح على الكرم كما يقول عمرو:

وترى اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهنيا

فإن عنترة حريص على أن يثبت لنفسه الكرم في حالة الصحو ووفور العقل لأن طبائعه التي قام عليها تملي عليه أن يكون على الدوام كريمة

فإذا شربت فإنني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندي وكما علمت شمائلي وتكرمي

وقد أجمع الرواة على أن هذين البيتين متقدمان في بابهما الزوزني.

وفي معلقة الحارث:

قد كثر فيها الفخر بالشجاعة مع الانتصارات في كل الحروب ولم ينسي أن يشيد بكرم قبيلته وتطويقها أعناق الناس والملوك بعطاياهم وكرمهم ويقول لمن يتحدث بالشر عنهم عند الملك عمرو بن هند أنتبه أيها الواشي عند ذاك فإن لنا عند الملك ثلاثة آيات تمنعه من أن يقضي لغيرنا علينا.

فالآيتين الأولي والثانية فهي انتصارهم على قيس اليمني وكفهم أياه عمرو بن هند ثم هزمهم بجماعة من أولاد الحرائر الذين لا يمنعهم عن قصرهم إلا هزيمة نكراء كفت عاديتهم عن عمرو بن هند.

أما الثالثة التي يدينون بها عمرو بن هند فهي كرم وعطاء إذ قدموا لعمرو بن هندو قودا بأخيه المنذر وكان ذلك القود هو ملك غسان وتسعه معه من ملوكهم الكرام ويقول في آية الكرم:

وأوقد ناره رب غسان بالمنـ ذر كرهاً إذ لاتكال الدماء

وفديناهم بتسعة أملاك الكرام أسلابهم أغلاء

ج / شرب الخمر ومجالسها:

أغرم العرب شرب الخمر متحضرين وأهل بادية، فشربوها وفاخروا بمعاقرتها وبذل الأموال في سبائها، ولعل السبب في لوع العرب بالخمر هو إعتقادهم بأن الخمر تزيد من الحمية والحماسة في الحرب، لذلك اقبل العرب على شربها لكي

تزيدهم جرأة إلى ما عرف عنهم من جرأة وتمنحهم شجاعة إلى ما أثر عنهم من شجاعة .

ويقول حسان بن ثابت في جاهليته:

ونشربها فتتركنا ملوكا وأسدا ما ينهنهنا اللقاء

ثم العرب كانوا يستهجنون بالحياة لكثرة حروبهم وتوقعهم الفجيعة في أنفسهم وأحبائهم لذلك انكبوا على لذات الحياة يعلون منها وينهلون، فالخمر قرينة الحرب فقرروا أن الخمر كانت تجري أنهار مع أنهار الدماء.

والعرب دائماً أما غالب أو مغلوب فالغالب يسبي ويغنم ويظفر فيصيب الخمر بهجة ونشوة، والمغلوب قد كسر وسلب ماله وأسرت نساؤه ورجاله وفجع في أحبابه فأظلمت حياته وضاقت به الدنيا فلاذ إلى الخمر يتناسى بها همومه. وقد قدموا الخمر للضيفان وافتخروا بذلك لأنه كرم بالغ فقد أفتخر المرقش الأكبر بأنه قدير على امتلاك الحسان واحتساء الخمر الروية الجيدة التي يشتريها بحر ماله، ويقول لحبيبت خويلة:

يا خول ما يدريك ربت حرة خود كريمة فيها ونسائها
قد بت مالكها وشارب رية قبل الصباح كريمة بسبائها

وهناك من العرب من حرم الخمر على نفسه فلم يحتسوها نزكرمنهم

قيس بن عاصم التميمي فقال:

لعمرك أن الخمر ما دمت شارب لسالبة ما لي ومذهبة عقلي
وتاركتي من الضعاف قواهم وموروثتي حرب الصديق بلا نبل [1]

وأيضاً من الممتنعين عن شربها أكراماً وصيانة للنفس عامر بن الظرب فقال:

---

[1] الآمالي ، أبو علي الغالي، ج ١، ص ٢٠٤.

سـأله للفتـي مـا لـيس فـي يـده ذهابـــة بعقـــول القـــوم والمـــال

أقســمت بــالله أســقيها وأشــربها حتــى يغـرق تـراب الأرض أوصــالي

مورثة القوم إضغانا بلا أحن مزرية بالفتي ذي النجدة الحالي [2]

ويتضح من كل ما ورد أن احتساء الخمر كان قاصراً على الرجال فلم أجد في استطلاعاتي عن الخمر في الجاهلية أن النساء كن يتناولنهن.

شرب الخمر ومجالس الشراب في المعلقات

معلقة امرئ القيس:

[2] الأغاني ، الأصفهاني ، ج ١٢، ص ١٤٨.

تحدث امرئ القيس عن الخمر حديثاً مقتضباً وغير مباشر حيث ذكر يوم دار جلجل وفيه أن امرئ القيس كان يعشق عنيزة ابنة عمه شرحبيل وكان لا يحظي بلقائها ووصالها فانتظر ظعن الحي وتخلف عن الرجال حتى إذا ظعنت النساء سبقهن إلى الغدير المسمي دار جلجل واستخفي، وكان يعلم أنهن إذا وردن الماء اغتسلن، فلما وردت العذارى اللواتي كانت عنيزة فيهن وانضون ثيابهن وشرعن في الانغماس في الماء ظهر امرئ القيس وجمع ثيابهن وجلس عليها ثم حلف على أن لا يدفع إليهن ثيابهن إلا بعد أن يخرجن إليه عاريات، فخاصمنه في ذلك زمنا من النهار فأبي إلا أبرار قسمه فخرجن إليه فقال: يا ابنة العم لابد لك من أن تفعلي مثل ما فعلن، فخرجت فرآها مقبلة ومدبرة، فلما لبست ثيابهن أخذن في عزلة وقلن قد جوعتنا وأخرجتنا عن الحي فقال لهن: لو عقرت راحلتي أتأكلن قلن نعم. فعقر راحلته ونحرها وجمعت الإماء الحطب وجعلت يشوين اللحم إلى أن شبعت وكانت معه ركوة فيها خمر فسقاهن منها فلما ارتحلن قسمن أمتعته فيفهن هو دون راحلة فقال لعنيزة: يا ابنة الكرام لابد لك من أن تحمليني فأبت فألحت عليها صويحباتها أن تحمله على مقدم هودجها فحملته فجعل يدخل رأسه في الهودج يقبلها وشمها وقال في دار جلجل:

إلا رب يوم لك منهن صالح ولاسيما يوم بدارة جلجل

يوم عقرت للعذارى مطيتي فيا عجبا من كورها المتحمل

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهداب الدمقس المفتل

معلقة طرفة:

يفخر طرفه بأنه يغشي الإمكان التي لا يغشاها إلا عظماء الرجال فهو في حلقة القوم ومجتمع السادة يوحد بينهم لا يقل عنهن أن لم يفوقهم، وحين البحث عنه

يجدونه في حوانيت الخمارين يشرب ويلهو ويدعو صحبه إلى المنادمة والشراب ويقول في ذلك:

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتنصي في الحوانيت تصطد

ثم يرى طرفه أن الموت يختطف الأحباب ويذوي الآمال فليستمتع الناس في حياتهم القصيرة بما يملكون قبل أن يحتويهم التراب ليكن منهم عكوف على الخمر علها تنسيهم ما ينتظرهم من الموت والفناء كما يصنع هو ذاك غير مبال ويقول:

ومازال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد

ثم يرى طرفه أن الحياة كلها لا قيمة لها إلا أن يحقق فيها واحداً من ثلاثة أعمال أو يحققها جميعا وبعد ذلك فليأته الموت فلن يعبأ ولن يبالي متى يموت أو متى تقوم عليه النائحات ومن هذه الثلاثة الأعمال المجيدة التي يعيش طرفه من أجلها شرب الخمر، بل يجعل طرفه الخمر أول هذه الثلاثة أعمال حيث يقول:

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتيوجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبق العاذلات بشربةٍ كميت متى ما تعل بالماء تزبد

ثم يحاول طرفه أن يجادل من يلومه على شهود الحرب ومعاقرة الخمر – وهذا الجدال دليل على أنه قد كان فيهم من لا يشرب الخمر ولا يرضي عن شاربها ويقول في هذا:

ألا أبهذا اللائمي أحضر الوغىوأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

فإن كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ثم يتحدث طرفه عن مجلس الشراب ونادماه فيه فيصف الندامى بأنهم إشراف مشاهير بيض الوجوه – دليل الثراء إذ لا يضطرون إلى التعرض للشمس تلوح وجوههم في طلب الرزق ويأخذ في الحديث عن قيانه اللواتي يحفل بهن مجلسه فيصف القينه بأنها أعدت له مجلس الشراب والترفيه عنه عن الندماء فهي تلبس قميصاً واسع الجيب ليسهل على من يريد أن يستمتع بمس جسمها أن يصنع، ثم هي حسنة الغناء والتطريب لا يشبع منها سامعها ويقول:

نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين بردٍ ومجسد
رحيب قطاب الجيب منها رقيقة يحس الندامى بضة المتجرد
إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدد

معلقة لبيد:

يتحدث فيها إلى محبوبته قائلاً لها: أنك لا تعلمين كثرة الليالي الطيبات التي استلذذت فيه الهوى ومنادمتي كرام الناس، أبيت أحدثهم ويتحدثون إلى بل أنت لا تعلمين كم من رابية خمر قصدتها حيث نصبت ، فاشتريت الخمر غالية لأصحابي من كل زق مغير أو خابية مطيرة قد فض ختامها فتلألأ وأني مصبح بها قبل أن يصحو الدجاج، فهو يتحدث عن الخمر وشربها والندامى ومجلسهم يباهي بذلك ويدل بكرمه في اشتراء أغلي أنواع الخمر ويقول:

بل أنت لا تدرين كم من ليلةٍ طلق لذيذ لهوها وندامها
قد بت سامرها وغاية تاجر وافيت اذ رفعت وعز مدامها
أغلي السباء بكل أدكن عاتق أو جونة قدحت وفض ختامها
بصبوح صافية وجذب كرينه بمؤثر تأتى له إبهامها
باكرت حاجتها الدجاج بسحرة لأعل منها حين هب نيامها

معلقة عمرو بن كلثوم :

لقد بدأ بها حديثه فقد طلب من الساقية أن تصاحبه بخمور قرية الاندرين المشهورة بعودتها ثم يأخذ في وصف الخمر وكيف تمزج بالماء لكسر حدتها فهي عتيقة جيدة ثم يتحدث عن أثرها في نفس شاربها إذ تميل بذي الحاجة عن حاجته فيلين وينسي حاجته وأحزناه، وهي تفعل بنفس البخيل فعلها فتراه يهين ماله فيها فينفقه رغم بخله ويقول:

إلا هبي بصحتك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا
مشعشعة كان الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذي اللبانة عن هواه إذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللحز الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا

ثم يتفاخر بأنه شرب في أماكن متعددة، كل مكان منها له شهرته في جودة خموره فيقول:

وكأس قد شربت ببعلبك وأخرى في دمشق وقاصرينا

معلقة عنترة:

يفخر بأنه يشرب الخمر في وقت معين هو: بعد اشتداد الهاجرة يفخر بأنه يشتري الخمر بالدينار المنقوش أي أنه لم يشربها من مال أحد ليدل بذلك على جودتها.

ثم يصف الزجاجة التي شرب بها بأنها صفرا ذات خطوط قرنتها بإبريق أبيض مسدود الرأس فإذا شرب الخمر فإنه يستهلك في شربها وفي جوده بها على الصحاب ولا يشين عرضه بإتيان ما من شأنه أن يلام عليه في تلك الحال وإنما يكون تام العرض لا يكلم عرضه عيب عائب مهلك المال ولا يبقي على شي منه فهو يفخر بأن شربه الخمر ومجالسته الندمان يحمله عليه محامد الأخلاق ولا يجره إلى النقائص التي تخدش عرضه أو تعرضه للوم اللائمين، فإذا صحا من سكره لم يقصر في شيء من الجود الذي أعتاده في حالة سكره لأنه جواد في حالتيه جميعاً وذلك هو الجود الأصيل يقول:

لقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرة قرنت بأزهر في الشمال مفدم
فإذا شربت فإنني مستهلك مالى وعرضي وافر لم يكلم
وإذا صحوت فما أقصرعن ندي وكما علمت شمائلي وتكرمي

وهكذا نرى شرب الخمر في أغلب المعلقات يشغل منها جانباً، مما يدل على صدق تصوير المعلقات للحياة العربية في المجتمع الجاهلي تصويراً دقيقاً، يتناول كل ما يحيط بحياة العرب ، مما يجعل المعلقات في قمة الشعر العربي الصادق الأصيل.

د / التضامن الاجتماعي :

ويتجلي التضامن الاجتماعي عند العرب في تداعيهم للمشاركة في السراء والضراء فإذا حزن احد في الحي حزن له الجميع ودليل ذلك أنهم يهبون لدفع الأذى عنه أو الثأر له مضحين في ذلك بكل ما يملكون بل بأرواحهم أحياناً فداء لإذهاب

حزنه وإزالة همومه، وإذا فرح احدهم بخير جاءه أو حققه تجمع قرناءوه من حوله وفاخروا به واعتبروا المجد لهم جميعاً، وقد عرفت حياة الحب العائلي في أحياء العرب كثيراً من الصور الرائعة لمعني هذه المشاركة الاجتماعية الفريدة في العالم، فمن ذلك من تسمعه يقول لإخوانه قبيل رحيل الحي الذي به الأحباب:

دعا داعي البين فمن كان باكيا معي من فراق الحي فليأتني غدا

لنبك غرانيق الشباب فأنني أخال غداً من فرقة الحي موعدا

ونجد المحزون يستعير الدمع من أخلائه ليجعل حزنه على أصحابه خالدا فيعيرونه أدمعهم في مثل قول الشاعر:

خليلي أن لا تبكيا لي استعن خليلا إذا أفنيت دمعي بكى ليا

ومن غريب قوة هذا الشعور بالمشاركة الاجتماعية أنهم يطلبون هذه المشاركة حيث يفتقدونها ويبالغون فيها ، كما وقع في يوم من أيام العرب قبل الإسلام [1].

أما المشاركة الظاهرة في الفرح فإنها خلق أصيل عندهم، انتقل منهم إلى حياتهم كلها بل إلى أنعامهم وحيواناتهم، هذا هو المنخل اليشكوى يصور تلك المشاركة الطاهرة في الفرح بينه وبين محبوبته وناقتها وبعيره فيقول:

وأحبها وتحبنيويحب ناقتها بعيري

والتضامن الاجتماعي عند العرب هو أساس وجودهم ومادة عروبيتهم، وهو مشتق من صلة الرحم أي القرى والتراحم أنبتته العصبية وغذته ظروف الحياة، ومن هذا التراحم عرف العرب حقوق ذوي القربى ولم يعرفها احد غيرهم على هذا القدر من الإحساس بها، وعرفوا حقوق الجار.

---

[1] أخبار أيام العرب قبل الإسلام ، جاد المولي وآخرون ، ط١ ، دار الحلبي للنشر ، ص٢١٣.

ومن التراحم الاجتماعي عرفوا اكرام الضيف وإعزازه ولا جدال في أنهم قد بلغوا في ذلك مكانة بعيدة لم يلحقهم فيها جنس.

ومن هذا التراحم والتضامن عرف العرب فك الأسير ونجدة المظلوم وإغاثة الصريخ.

ولقد أفتخر لبيد بأنهم يطلقوا الأسرى بغير فداء في قوله:

وعاف فككناه بغير سوامة فأصبح يمشي في المحلة جاذلا

ونري فهيم عنواناً صادقاً على خلق التراحم النابع عن التضامن الاجتماعي عند العرب في العصر الجاهلي.

التضامن الاجتماعي في المعلقات

معلقة امرئ القيس:

ويتمدح فيها بأنه يتحمل أثقال الحقوق ونوائب الأقوام ، فقال:

وقربة أقوام جعلت عصامها على كاهل مني ذلول مرحل

ويريد أن يقول ابنه ابن ملك يمكن أن يتحمل الحقوق والمغارم عن الآخرين وله ثروته التي تكفل له القيام بهذا العمل التضامني وبذلك تزول دعوة من يدعي أن هذا لتأبط شرا. أما إذا قلنا أن معني البيت: أن امرئ القيس يتمدح بخدمة الأصحاب وهو لون من التضامن الاجتماعي .

معلقة طرفة:

على ناقة طرفه التي برع في وصفها وأتي فيها بفنون من الدقة تعجز الواصفين وبألوان من الشمول والتفصيل تبهر القارئين، على هذه الناقة يمضي طرفه راحلاً مهاجراً ضارباً في الصحراء لا يبالي بما يلقاه من متاعب.. في مثل هذه الرحلة يصور طرفه نوعاً من التضامن الاجتماعي قام بينه وبين صديق له، حيث أشفق عليه صديقه من هول الرحلة فتمني أن يفدي منها طرفه بنفسه بل يفدي نفسه منها ومن أهوالها حيث قال:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا ليتني أفديك منها وأفتدي

وجاشت اليه النفس خوفا وخالهمصابا ولو أمسي على غير مرصد

معلقة زهير:

قمة التضامن الاجتماعي تجمعت في معلقته وأقصي أنواع هذا التضامن أو التراحم الاجتماعي هو ما قام بين هرم بن سنان والحارث ابن عوف عندما اتفقا على

أن يتحملا من مالهما الخاص – دون أن يكونا على صلة بهذه الحرب – ديات المقتولين تضامنا اجتماعياً مع القاتلين وإراحة لأنفس الناس من هول الحرب ويسجل زهير هذا في قوله:

وقد قلتما أن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول نسلم
فأصبحتما منها على خيرموطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

معلقة لبيد:

عجيب أن يقوم لبيد بمفرده بما ينبغي أن يقوم به مركز للخدمة الاجتماعية فهو يدعو على مياسرتها الأصحاب لا ليترجي فراعاً ولا ليبرح من هذا الميسر ولا ليباهي بما يصنع، وإنما يطعم من لحمها الضيف والجار وكل امرأة مسكينة ضعيفة فقيرة بلغ بها الفقر حداً جعلها تبدو وقد قصرت ثيابها عن سترتها وكل فقير أو مسكين اشتد عليه الفقر، ويقول في ذلك:

وجذور أيسار دعوت لحتفها بمغالق متشابه أعلامها
أدعو بهن لعاقر أو مطفل بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الغريب كأنما هبطاً نبالة مخصباً أهضامها
تأوي إلى الأطناب كل رذية مثل البلية قالصٍ أهدامها
ويكلون إذا الرياح تناوحت خلجاً تمر سوارعاً أيتامها

ثم يصيف في وصفه أن أفراد قبيلته بأنهم متكافلون فيما بينهم متضامنين على الخير والشر وفي الحرب والسلم بل يتعدي تضامنهم أنفسهم وذويهم وجيرانهم فيقول:

فهم السعاة إذا العشيرة أقطعت وهم فوراسها وهم حكامها

وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها

وهم العشيرة أن يبطئ حاسد أو أن يلوم مع العدى لوامها

معلقة عمرو بن كلثوم:

يفخر فيها بقومه أنهم يعمون القبيلة بالخير والنوال ويعفون عن أخذ أموالهم وهم القادرين على ذلك بل يحملون عنهم ما ثقل عليهم إى أنهم جميعاً يتضامنون ويتكافلون تكافلاً اجتماعياً عاما يسد حاجة المحتاج أيا كانت حاجته فيقول في ذلك:

نعم أناسنا ونعف عنهم ونحمل عنهم ما حملونا [1]

ندافع عنهم الأعداء قدما ونحمل عنهم ما حملونا [2]

ثم يفخر بأن قومه ذهبوا في تضامنهم إلى مدى أوسع من القبيلة حيث تضامنوا مع نزار في حروبهم ضد اليمن تضامنا فوق ما يتصور المتصورون، فهذا لون من التكافل بين القبائل ويقول في ذلك:

ونحن غداة أوقد من خزاز رفدنا فوق رفد الرافدينا

ثم يتوسع عمرو في الإحساس بأن قومه سيتضامنون ويتكافلون مع الناس جميعاً، فهم حين يمتشقون سيوفهم كأنما يحمون بها جميع الناس، ويقول:-

كأن والسيوف مسلات ولدنا الناس طرا أجمعينا

معلقة عنترة:

إذا كان التضامن الاجتماعي يتطلب من صانعه مالاً وثروة يكفل بها حاجات الناس فإن هناك من ليس عندهم هذه الثروة ولكن التضامن والتكافل خلق فيهم

---

[1] رواية شرح الزورزني.

[2] رواية شرح التبريزي.

وسجية فطروا عليها فهذا عنترة الذي لا يملك من المال ما يسد به حاجته وحاجة المحتاجين ولكن يملك ما يشبه المال هو القوة والاطمئنان يملك سيفه وفرسه وقلباً شجاعاً ونفساً أبية يدفع بكل ذلك عن قومه ويرى في هذا مفخرة تقصر دونها مفاخر المال فيقول:

لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم
مازلت أرميهم بغرة وجهه ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه وشكي إلى بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكي ولكان لو علم الكلام مكلمي

معلقة الحارث:

يفخر فيها بتضامن قومه مع عمرو بن هند فنصروه حين خذله التغلبيين وذلك عندما غزا المنذر أعداءه فدار بينه وبينهم ذلك القتال المرير الذي وقف فيه قوم الحارث في جانب الملك، فهو نوع من التضامن كفلوا به للملك الأمن ويقول:

كتكاليف قومنا إذ عز المنـ ذر هل نحن لابن هند رعاء

ثم فخر الحارث بأنهم فكوا غل الأسير وهذا من أقوى مظاهر التضامن والتكافل ولم يكن هذا الأسير ولا غيره بقادرين على أن يخلصوا أنفسهم ولذلك عد فكاك الأسير عملاً جليلاً في باب التراحم ويقول في ذلك:

وفككنا غل امرئ القيس عنـ ـه بعد ما طال حبسه والعناء

هـ / معاملة الأقارب والأصدقاء

كان الناس في المجتمع الجاهلي يتعاملون على أساس قيم خلقية واجتماعية أوحت بها اليهم البيئة التي يعيشون فيها فمثلاً الجدب حبب إليهم الكرم والعطاء وعدم وجود حكم موحد وانعدام الأمن زرع في نفوسهم حب الحماية والإجارة والإغاثة إلى غير ذلك مما أملت عليهم بيئتهم من قيم خلقية ومثل اجتماعية.

وفي مجال معاملة الأقارب كانت تتمثل قيمهم الاجتماعية فقد حملوا أقاربهم ودافعوا عنهم وثأروا لهم ولم يناموا ولم يستمتعوا بالحياة بل لم يغتسلوا ولم يقربوا النساء ولم يشربوا الخمر ولا بعد أدراك الثأر لأقاربهم ولهم في ذلك عادات. وقد تحملوا عن أقربائهم دفع الديات وكثيراً ما كان الدفاع عن الأقارب يؤدي إلى إشعال نار الحرب كما حدث في حرب البسوس.

وكان بعضهم يجعل الثأر فوق القرابة فيتجاهل واجبات القرابة في سبيل إدراك ثأره من قريبه كما فعل قيس بن زهير بن جزيمة العبسي وقد قتل حمل بن بدر يوم جفر الهباة ثأراً لأخيه مالك الذي قتل في أول الحرب – وحمل هذا من أبناء عمومة قيس بن زهير وقال في ذلك قيس بن زهير بعد قتله لحمل بن بدر:

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني

شفيت بقتلهم لغليل صدري ولكن قطعت بهم بناني [1]

أما هؤلاء الذين كفت القرابة من حفائظهم وكامنة من رغبتهم في الثأر فهم أيضاً كثير نذكر منهم الحارث بن رعل الجرمي، وقد جمعه قومه في أخيه فقال في نفسه أنه إذا ثأر منهم أصاب نفسه وأوهن عظمه ولكنه سيعفو عنهم والعفو إذن عظيم ويقول في ذلك:

---

[1] أيام العرب في الجاهلية ، جاد المولي وآخرون ، ط ١، الحلبي ، ص ٢٦٥.

قومي همو قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي

فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

أما معاملة الأصدقاء فكانت رفيعاً من المودة والحماية والنصرة وكانوا يفخرون بخدمة الأصحاب وهم الأباة ويفخرون بدعوة الأصدقاء على مجالس الشرب والطعام وكانوا يفخرون بأصدقائهم عندما يكونون سادة أشرافاً ولا يتهربون منهم عندما يكونون فقراء أو صعاليك لا مال لهم بل يواسونهم بأموالهم ويدفعون عنهم عاديات الليالي والأيام.

معاملة الأقارب والأصدقاء في المعلقات

معلقة امرئ القيس:

أعطانا فيها صورة صادقة عن العواطف القوية التي تربط بين الأصدقاء إذ أنهم يذهبوا عنه ما يحس به من ألم وضيق بتعزيته وتسليته ونصحه بأن يحول بين نفسه وبين أن يتلفها الهم والحزن فقد وقف على إطلال أحبابه يبكي أيامهم السوالف ويحزن أشد الحزن لفراقهم وتحولهم عن منازلهم ويستبد به الجزع على فراقهم فيوقف أصحابه فينصحونه بالصبر وعدم الجزع فيقول:

وقوفا بها صحبي على مطيهم يقولون لا تهلك آسي وتجمل

ثم يفخر بخدمة أصحابه وحمله عنهم سقاء الماء في السفر وهو الملك ابن الملك على كاهل منه قد مرن على ذلك في خدمة الأصحاب والأصدقاء ويقول:

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ألا بشئ أفديك منها وافتدي

ثم يذكر طرفه أنه يتخذ الأصدقاء من مستويات المجتمع أغنياء – وفقراء ،هؤلاء يحترمونه وأولئك يحبونه وهو عند الاثنين معروف المكان معدود من خيرة الأصدقاء.. يقول:

رأيت بني غبراء لا ينكروني ولا أهل هذاك الطراف الممدد

معلقة طرفة:

ثم يرسم طرفه صورة دقيقة لمعاملة الأقارب يضع فيها كل المعايير التي ينبغي أن تكون عليها صلاة الأصدقاء فهذا ابن عمه مالك قد سأله طرفه أن يعينه في الحصول على إبل أخيه التي ضلت فرفض مالك متنكر بهذا الرفض لموجبات القرابة فيأس طرفه من كل خير يرجى منه. ثم تخيل طرفه مالك وكأنه من عداد الأموات لأنهم وحدهم الذين لا يرجون ولا ينفعون. يقول:

فمـا لـي أرانـي وابـن عمـي مالكـا متــى ادن منــه ينــأ عنــي ويبعـد
يلــوم ومــا أدري عــلام يلــومني كما لامني في الحي قرط بن معبد
وأيأســني مــن كــل خيــر طلبتــه كنــا وضــعناه إلــى رمــس ملحــد
علـى غيـر شـيء قلتـه غيـر أننـي نشــدت فلــم أغفــل حمولــة أعبــد
وقربــت بــالقربى وجــدك أننــى متــى بــك أمــر للنكيثــة أشــهد
وأن أدع للجلــي أكـن مـن حماتهـا وأن يأتيـك الأعـداء بالجهـد أجهـد
وأن يقذفوا بالقزع عرضك اسقهم بكأس حيا في الموت قبل التهدد

وفي مقابل كل هذا من طرفه لا يجد من ابن عمه إلا الظلم والهجر والجفاء .

وعن سؤاله وعوارفه وعفوه يصور ذلك طرفة قائلاً:

بــلا حــدث أحدثــه وكمحــدث هجــائي وقــذفي بالشــكاة ومفــردى
فلــو كــان مــولاي أمــرأً هــو غيــره لفــرج كربــى أو لأنظرنــى غــدى
ولكن مولاي امرؤ هو خانقي على الشك آلة آل أوان مغتل

ثم يصرح طرفه في حسرة ومرارة بأن ظلم الأقارب أشد على النفس ألماً من القتل بسيف لأنه جاء ممن يرجي منهم الخير ..و يقول:

وظلم ذوي القربي أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

يشعر طرفه على هذا الظلم فيهجوا ابن عمه فيلومه على هذا اللائمون فيقول لمن لامه على ذلك...

فزرني وخلقي وأنني لك شاكر ولو حل بيتي نائيا عند صرغد

معلقة لبيد:

يضع لبيد لنفسه مبدأ في معاملة الأصدقاء، وذلك المبدأ يقوم على المساواة في المعاملة وهو: وصل من وصلة وقطع من قطعه وهو تمليه الكرامة ويحتمه الإباء ويستوجبه الاعتزاز بالنفس... يقول لبيد في ذلك:

فأقطع لبانه من تعرض وصله ولشر واصل خلة صرامها

واحب المجامل بالجزيل وصرمه باق إذا طلعت وزاغ قوامها

معلقة عنترة:

عنترة يضع في نفسه للغرابة والصداقة معايير معينة أهمها مقابلة الود بالود والمعروف بالمعروف والنعمة بالشكر. وما إلى مما تستوجبه مقتضيات القرابة والصداقة، غير أن لعنترة قريب أو صدق اسمه عمرو يحسن عليه عنترة وينعم عليه ولكن عمرو هذالا يقابل النعمة بالشكر كما ينبغي ولذلك تسؤ نفس عنترة إزاء هذا الموقف، ويهدد بقطع تلك النعمة عن عمرو وما لم يرجع إلى شكرها فيعود بذلك إلى ما تقتضيه معايير القرابة والصداقة عند عنترة... يقول في ذلك:

نبئت عمرا غير شاكر نعمتي والكفر مخبئة لنفس المنعم

و/ حماية الجار والمستجير والحليف

في تلك البيئة الجاهلية التي استعرت فيها نار الحرب لم يكن هناك بد من المحالفات لتعزيز القوة وتقوية الحماية، وذلك أن الناس كانوا دائماً يتوجسون إلا غارات فيحين لا يستطيعون الاعتماد على حكومة أو قانون في صيانة أموالهم وأعراضهم، فلم يبقي أمامهم إلا أن يعتمدوا على أنفسهم وقوتهم وحلفائهم وجيرانهم فقط.

فالإجارة والحف وحماية الجار كلها نظم برزت في العصر الجاهلي وارتضتها قيمهم الاجتماعية وعاشوا عليها وضحوا من أجلها، وجعلوها من قيمهم الاجتماعية التي لها في نفوسهم القداسة والتقدير مما جعلهم يموتون من أجل تحقيقها ويعيرون من لم يصطنعها أسلوبا لحياته.

وقد خلعت خزاعة قيس بن الحداية وأشهدت على ذلك في سوق عكاظ وعلمت الناس أن خزاعة لن تحمل عن قيس جريرة ولن تثأر له [1].

ومن تقاليد الحلف عندهم: لعق الدم وذلك بغمس كل فريق منهم يده في جفنه ملأ بالدم ثم يلعق كل رجل ما علق بيده وكانوا يسمون هؤلاء لعقه الدم [2].

ثم عمدوا إلى ماء زمزم فجعلوه في جفنة ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشربوه فهم لم يتعاقدوا على ماء معتاد بل تعاقدوا على ماء زمزم التي لها قداستها في نفوسهم وقد غسلت به الكعبة ثم شربوا منه كأنما يريدون أن يسري العهد في كيانهم.

---

[1] الأغاني ، الأصفهاني ، ج ١٣، ص ٣

[2] المصدر السابق، ج ٧، ص ٢٦.

وأحياناً كانوا يتحالفوا على النار فقد كان من العرب من يعبد النار فقد كانوا يضعون فيها ملحاً يهولوا فيها ولذلك سميت المهولة وسموا القسم عليها المهول، قال أوس بن حجر في وصف ثور وحشي:

إذا استقبلته الشمس صد بوجههكما صد عن نار المهول حالف

وقد اعزوا الحليف إعزازاً كبير حتى أن قريشا كانت تتمنع عن تزويج بناتها من غيرها إلا إذا كان من حلفائها.

وقد تمادوا في حماية الجار إلى حد أن حموه من الموت وهذا يعني الجار إذا مات دفع حاميه ومجيره ديته إلى أهله كما حدث من الأعشي حين خاف بني عامر على ما معه من عطايا الأسود العنسي فأتي علقمة يستجير به من الجن والأنس فقال له: أجرني قال: قد أجرتك، قال من الجن والأنس؟ قال نعم، قال: من الموت؟ قال: نعم قال: كيف تجيرني من الموت؟ قال: أن مت وأنت في جواري بعثت إلى أهلك الدية فقال الآن علمت إنك أجرتني من الموت ثم مدح الأعشي عامر بن الطفيل وهجا علقمة [1].

ولم يكن من السهل أو المحتمل في عرفهم أن ينفض حليف بعهده أو ينقض رجل ذمة عقدها لجاره فإنهم كانوا إذا غدر منهم أحد رفعوا له لواء في سوق عكاظ ليشهدوا به، وفي ذلك يقول قطبة بن أوس بن محصن بن جرول مفتخراً بقومه بأنهم لم يغدروا ولم يرفع لهم لواء غدر في سوق أو مجمع: ويقول:

أسميَ ويحك هل سمعت بغدرة رفع اللواء لنا بها في مجمع[2]

---

[1] الأغاني ، الأصفهاني ، ج ٨، ص٨٠.

[2] المفضليات ، الضبي ، ج ١، ص ٤٣.

حماية الجار والمستجير والحليف في المعلقات

معلقة طرفه:

يفخر طرفه بأنه يعيش حياته ليحقق أهدافه الثلاثة،كي تتم له بين الناس بتحقيقها صفات السيادة والنبل كما يرى ويعتقد، ومن هذه الثلاثة إجابته دعوة المستجير المستصرخ ، فيجيبه طرفه على ظهر فرس في يده أنحنا قليل كأنه ذئب الغضا – وهو أشرس أنواع الذئاب – ولذلك ضربوا به المثل فقالوا: اضري من ذئب الغضا.يقول طرفة مفتخراً بحماية المستجير:

وكرِّى أذا نادي المضاف مجنبا كسيد الغضا نبهته المتورد

ثم يفخر بأنه إذا تنددي عليه ودعي للتخليص من الأمور العظام والشدائد الجسام كان من حماة هؤلاء الداعين ومن الرافعين عن هؤلاء المنادين المستصرخين. بل أحياناً ينبوع بالحماية دون أن يدعي أو يستصرخ به:

وإن أدع للجلي أكن من حماتهاوإن يأتك الأعداء بالجهد أجهد

ثم يكون طرفه هذا المعني حينما يطلب إلى ابنة أخيه – معبد – أن تشق عليه جيبها إذا مات وأن تحزن عليه حزنا يليق بمقامه. ذلك المقام الذي أكتسبه بإجابة المستصرخ والمستجير:

فإن مت فانعيني بما أنا أهله وشقي على الجيب يا ابنة معبد

ولا تجعلني كامرئ ليس همه كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي

بطئ عن الجلي سريع إلى الخنا ذليل بإجماع الرجال ملهد

معلقة زهير:

يتحدث زهير عن الأحلاف الذين حالفوا ذبيان فيقول لهم: قد حلفتم على أبرام حبل الصلح كل حلف، فتحرجوا من الحنث وتجنبوا أن تخيسوا بعهودكم ولا يتوهمن أحدكم أن إضمار الغدر نافع له أو خاف على الله، فإن في القدر نقض للحلف من ناحية ومن ناحية أخرى فإنكم مهما كتمتم وأضرتم فإن الله مطلع على كل ذلك ومنتقم منكم الآن أو مؤجل عقابكم إلى يوم الحساب:

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى ومهما يكتم الله يعمل
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم يندد زهير بحصين بن ضمضم لأنه جر عليهم المذمة في نقضه الحلف والعهد حيث أضمر الغدر وأصر على أن يقتل بأخيه رجلاً من عبس، وقد فعل...، يقول زهير أقسم بحياتي لنعمت القليل حين عليهم حصين بن ضمضم وأن لم يوافقه قومه في إضمار الغدر ونقض العهد:

لعمري لنعم الحي جر عليهم بما لا يؤتيهم حصين بن ضمضم
وكأن طوى كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم
وقال سأقضي حاجتي ثم اتقي عدوي بألف من ورائي ملجم

ثم يمدح زهير أهل الحي الذين قدمت لهم ديات القتلى فقبلوها – لا عن ضعف – وإنما رغبة منهم في كف الحرب والقضاء على شرها. هذا الحي أهله شرفاء شجعان لا يستطيع طالب الثأر أن يثأر منهم ولا يستطيع أحد أن ينال ممن يستجير بهم شيئاً، ولا هم يسلمون جارهم أو المستجير بهم أبداً:

كرام فلا ذوالضغن يدرك تبله ولا الجازم الجاني عليهم بمسلم

ثم يمدح زهير كل من وفي بعهد أو حافظ على ميثاق أو نصر حليفاً، ويذم ناقض العهد والمتنكر للحليف ويقول:

ومن يوف لا يذمم ومن يهد قلبهإلى مطمئن البر لا يتجمجم

معلقة لبيد:

أما لبيد فإنه يتجاوز حماية الجار والحليف إلى الفخر بإكرامهما وإشراكهما فيما عنده وتمتعهما بما لديه، فإن نظرة دقيقة إلى هذا وذاك توضح أن الباعث على الحماية هو نفس الباعث على الإكرام:

فالضيف والجار الغريب كأنما هبطا قبالة مخصباً أهضامها

ثم يفخر لبيد بأنه وقومه لا يكتفون بمجرد حماية الجار، وإنما يكونون له بمنزلة الربيع :

وهم ربيع للمجاور فيهم والمرملات إذا تطاول عامها

معلقة عمر بن كلثوم:

يفخر عمر بأنه وقومه يمنعون ويحمون من يقرب منهم أو يجاورهم، ويقول: نحن أنا سقطت الخيام عن الإبل للإسراع في الهرب نفتح ونحمي جيراننا متفردين بذلك على حين يهرب غيرنا من حماية الآخرين نحميهم بجز رؤوس من يتعرض لهم:

ونحن إذا عماد الحي خرت على الأخفاض تمنع من يلينا

نجز رؤوسهم في غير بر فما يدرون ماذا يتقونا

ثم يفخر عمرو بأنه وآباءه ورجال عشيرته بنوا المجد – على سبيل المثال – ذا البوة وهو رجل من تغلب لقب بذلك لشعر كان على أنفه يلتوى كأنه البوة – وهي الحلقة هذا الرجل الشهير الذي يتحدث عنه الناس حمانا بمجده وفعاله وبه وبمكانته نحن نحمي المستجيرين بنا من غيرهم ونمنع عنهم كل شر:

ورثنا مجد علقمة بن سيف أباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلا والخير منه زهيرا نعم ذخر الذاخرينا
وعتاباً وكلثوم جميعا بهم نلنا تراث الأكرمينا
وذا البوة الذي حدثت عنه به نحمي ونحمي الملجئينا

ثم يفخر بأنهم يعتصمون جيرانهم ويمنعونهم من كل أذي يتهددهم ذلك في حالة طاعة جيرانهم لهم،أما إذا ما عصي هؤلاء الجيران أمرهم فإنهم لا يستجيبون لما يديرون منهم أو ربما اعتدوا عليهم:

ونحن الحاكمون إذا أطعنا ونحن العازمون إذا عصينا

معلقة عنترة:

يشيد عنترة بأنه يستجيب لداعي النجدة عندما يستجير به قومه في حرمات القتال ويرون أن لا ملجأ لهم ولا منجي من عدوهم إلا أن يكون عنترة هو المنجد لهم الملخص لهم عن ذلك يسرع عنترة إلى إجابة المستجيرين به من قومه، وأنه يزال يرمي أعداءه بنحر فرسه وشدته حتى يتلطخ بالدم ويصبح الدم لجسمه كالسربال النابغة:

يدعون عنترة والرماح كأنها أشطان بئرٍ في لبان الأدهم

مازلت أرميهم بغرة وجهه ولبانه حتى تسربل بالدم

معلقة الحارث:

الحارث يذكر أعداءه بحلف ذي المجاز وهو موضع جمع فيه عمرو بن هند بين بكر وتغلب وأصلح بنيهما وأخذ منهما الوثائق والدهان – يذكر بني تغلب بذلك ويشيد بوفاء قومه بهذا الحلف وتقديمهم الكفلاء دليلاً على الوفاء والرغبة في الاستمرار فيه ثم يقول: وإنما تعاقدنا هناك حذر الجور والتعدي من احدي القبليتين على الأخرى.

أي أن ما كتب في العهود والمواثيق لا تبطله أهواؤكم الضالة. ثم يقول: أعلموا أنا وإياكم في تلك العهود والشرائط التي نص عليها في الأحلاف واوجب على الجميع احترامها سوا لا فرق بيننا وبينكم:

واذكروا حلف ذي المجاز وما قدم فيه العهود والكفلاء
حذر الجور والتعدي ولن ينفض ما في المهارق الأهواء
وأعلموا أننا وإياكم في ما اشترطنا يوم اختلفنا سواء

ثم يعير بني تغلب بأنهم لم يحترموا هذا التحالف ولم يلتزموا بما جاء فيه غدرا منهم وظلما وعدوانا، ووضعوا ا للأمور في غير ما يجب أن توضع فيه:

عنانا باطلا وظلماً كماتع ترعن حجرة الربيض الظباء

ز/ الثأر والانتقام

عندما تقوم الحرب بين القبائل لابد أن تتجلي عن جرحي وقتلي وأسري وعن تخريب وتدمير وقطع للأوصال وهتك للمحارم وتضيع للأموال وسبي للنساء ولابد أن يعقب هذا أو بعضه في نفوس المنهزمين حفيظة لا يطفئها إلا الثأر لهؤلاء القتلي.

وقد بلغ من كلفهم بالثأر أنهم كانوا يتجافون عن النساء، والخمر والطيب لأنها ضرب من التنعم لا يليق بحزين موتور، أو لأنها قد تلهي وتشغل عن الجد في طلب الثأر، يقول المهلهل:

خذ العهد الأكيد على عمري بتركي كل ما حوت الديار
وهجري الغانيات وشرب كأس ولبسي جبة لا تستعار
ولست بخالع درعي وسيفي إلى أن يخلع الليل والنهار

وقد تغلغل فيهم خلق الثأر إلى حد جعلهم يثأرون لأقربائهم وهم يعتقدون أنهم قتلوا وفي هذا الثأر فسوف يثأر لهم أقرباؤهم، فكأن الثأر فريضه تلمها الأخلاق وتحتمها الأعراف ويصوغها منطق بل يلزم الناس بها في كل حين وهذا تأبط شراً يجد في أخذ ثأر خاله ويتوقع أن هو قتل في ذلك أن يثأر له ابن أخته فيقول:

إن بالشعب الذي دون سلع لقيلا دمه ما يطل
خلق العبء على وولى أنا بالعبء له مستقل
ووراء الثأر مني ابن أخت مصع عقدته ما تحل
مطرق يرشح سماكما أط رق أفعى بنفث السم صل [1]

لم يكن خلق الأخذ بالثأر موقفاً على الرجال أو خاص بهم بل كانت النساء تتخلقن بهذا الخلق أيضاً وتراه ضرورة لا يحيد عنها إلا جبان أو ضعيف، وكثيراً ما

[1] الحماسة، التبريزي ، ج ١، ص ٣٤٨.

كانت المرأة العربية تحرص على الأخذ بالثأر وتؤجج الصدور حفيظة وتلهب النفوس حمية لإدراك ثأر القتيل، تقول الخنساء ، تحرض قومها على أدراك ثأر أخيها صخر:

لا نوم حتى تعود الخيل عابسة ينبذن طرحا بمهرات وأمهار
أو تحفروا حفرة والموت مكتنع عند البيوت حصينا وابن ييسار
فتغسلوا عندكم عارا تجللكم غسل العوارك حيضاً بعد أطهار

فهي لا تقر ولا تهدأ ولا تقبل من قومها أن يهدؤوا أو يقروا حتى يهجموا على الأعداء هجمة قاسية صارمة تعبس منها الخيل وترمي ما في بطونها وتنجلي الغزوة عن قتل واتريها وعن غسل العار الذي لحق بقومها. ولعل الأسباب التي أدت إلى أن يكون أدراك الثأر خلقاً عاماً في البيئة العربية كان من أهمها أن المجتمع الجاهلي كان يعيش على نظام بدوي حيث لاسلطة تحول دون الواتر والموتور غير أن الثأر كان له بعض النفع لأنه يكبح من جماح بعض ألحمقي الذين تسيرهم شهوات القتل والقسوة، ولولاه لا تغمسوا في إجابة غرائزهم وخروجهم على القانون دون خوف أو رهبة من عقاب.

وكما كان تسليم القاتل عاراً كان قبول الدية في منطق الأقوياء عاراً أيضاً لأنه سمة الضعف والعجز والهوان.

وكان من عاداتهم تأخير البكاء على الميت قتلا حتى يثاروا له فإذا أخذوه بكت النساء قتيلهن قال الشاعر:

من كان مسرورا بمقتل مالك فيأت نسوتنا بوجه نهار

يجد النساء حواسرا يندبنه يلطمن حر الوجه بالأسحار

وهكذا رأينا أن الثأر كان عادة اجتماعية في نفس العربي أملته فروق بيئته وحتمته عليه رغبته الأكيدة من تقديس حريته وحرصه على أن تظل بمنأى عن مسها أو الحد منها أو العدوان عليها فإذا ما حدث شيء من ذلك قبل العدوان بعدوان مماث أن لم يكن أشد، تلك طبيعتهم وهذه اجتماعياتهم وأخلاقياتهم في الحياة.

الثأر والانتقام في المعلقات

معلقة طرفة:

غالي طرفة في الإحساس بالانتقام ورد العدوان، فقال أن من يتعرض لابن عمه بمجرد والشتم فإنه يرد على ذلك بالسيف والقتل قبل التهدد فما بال طرفه لو تعرض واحد من الناس لأحد أقربائه بالقتل؟ أن ذلك لدليل على أن الأخذ بالثأر متغلغل في نفس طرفه يتخذه دينافي حياته ومنهجاً في قتاله وعراكه ومجالاَ لتفاخر وتمدحه بما يراه فضائل تشرفه، يقول في ذلك:

وإن يقذفوا بالفزع عرضك أسقهم بكأس حياض الموت قبل التهدد

ثم يفخر طرفة بأنه ينتقم لنفسه وأقربائه دائماً وأنه لذلك يحمل سيفاً قاطعاً لا يفارق كشحه تكفي من هذا السيف ضربته الأولى قتل أي عدو:

فآليت لا ينفك كشحي بطانة لغضب رقيق الشفرتين مهند
حسام إذا ما قمت منتصراً به كفي العود منه البدء ليس بمعضد
أخي ثقة لا ينثني عن ضريبة إذا قيل مهلاً قال حاجزه غدي

معلقة زهير بن أبي سلمي:

هي ديوان الحرب والسلام والديات والعقول وقد تعرض للحديث عن الثأر عندما قال: أن الحرب قد أكلت الناس فتفانوا ودقوا بينهم عطر منشم وما تفانوا إلا رغبة منهم في أن يدركوا ثأرهم بعد كل معركة ولولا الثأرات لما تطاولت الحروب على الحد الذي يرويه المؤرخون فيقولون: أن بعض حروبهم قد امتدت إلى نحو أربعين عام ويقول في ذلك زهير مادحاً هرم بن سنان والحارث بن عوف لأنهما وضعا حداً للحرب بين عبس وذبيان بعد ما أفنتهم الحرب أو كادت ويقول:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

ثم ينادي زهير في قومه وفي الأحلاف أن تعاهدهم وتعاقدهم على إبرام الصلح، فتجنبوا الرغبة في إدراك الثأر فما ينبغي لأحد أن يضمر في نفسه رغبة في الانتقام، فإن الله يعلم ذلك ويحاسبه عليه في الدنيا والآخرة.

ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان هل أقسمتم كل مقسم
فلا تكتمن الله ما في صدوركم يخفي ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم

ثم يتحدث زهير عن رغبة حصين بن ضمضم الأكسيد في الانتقام وأدراك الثأر لأخيه رغم أن قومه قد دخلوا في صلح مع عبس، ويقول زهير في ذلك:

لعمري لنعم الحي جر عليهم بما لا يؤاتيهم حصين بن ضمضم
وكان طوي كشحا على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم
قال سأقضي حاجتي ثم أتقي عدوي بألف من ورائي ملجم

فحصين يرى أن الأخذ بالثأر حاجة تتوق إليها نفسه ولا يستريح حتى يقضيها ثم هو يعترف بينه وبين نفسه بأن هذا العمل قد يجر لعيه حرباً ضروساً وخيمة العاقبة فبعد لذلك عدته ويسلح له ألفاً من قومه يتقي

بهم الحرب الناتجة عن أراكه لهذا الثأر وهذه الألف وراء حصين ليس فيهم من يسأله: لماذا يحارب؟ لأنهم جميعاً على دينه وراية في ضرورة الانتقام.

ثم يتحدث زهير عن الهدنة التي وقعت بين القبيلتين حيناً ثم حركتها الرغبة في الثأر والانتقام فكانوا كمن أورد أبله بعد إظمائها فثارت الحرب بينهم جزعة من جديد بتآكل الأخضر واليابس وتسفك الدماء وتفسد في الأرض فقتل كل واحد من الحيين

صنفاً من الأخر فكأنهم تمموا منياهم بأيديهم ثم أقلعوا عن القتال استعداداً لقتال آخر تؤرثه أحطاب الثأر وتذكية الرغبة الملحة في الانتقام.

رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم أوردوا غماراً تفري بالسلاح وبالدم

فقضوا منايا بينهم ثم أصدروا إلى كلا مستوبل متوخم

ثم يمدح زهير الحي الذين قدمت إليهم الريات عن قتلاهم يمدحهم بأنهم لم يقبلوا الديات عن ضعف وإنما قبلوها رغبة منهم في السلام، فهم شجعان لا يستطيع ذو الوتر أن ينال وتره منهم ولا صاحب الثأر أن يدرك منهم ثأره ولا من ظلموه بقادر على أن ينتقم منهم، هم في تلك القوة وجيرانهم وحلفاؤهم سواء:

لحي حلال يعصم الناس أمرهم إذا طرقت إحدى الليالي بمعظم

كرام فلا ذو الضغن يدرك تبله ولا الجارم الجاني عليهم بمسلم

معلقة لبيد:

ويفتخر بقومه ويقول أن الله قد بني لهم بيت الشرف والمجد فارتفع إلى ذلك الشرف كل من في القبيلة، ثم يفتخر بأن هؤلاء الغلمان والكهول هو فوارس القبيلة وحكامها وسعاتها لدى أمورها المهمة فاذا قامت القبيلة بأمر مكروه من حرب أو عدوان أو غارة فإن هؤلاء يدفعون عنها وينتقمون لها ويثأرون من أعدائها فيقول:

فبنوا لنا بيتاً رفيعاً سمكه قسما إليه كهلها وغلامها

فهم السعاة إذا القبيلة أفزعت وهم فوارسها وهم حكامها

معلقة عمرو بن كلثوم:

ويتحدث مفاخراً بأن قومه خواضوا حروب لا يهابون، وإن ذلك شأنهم في حياتهم ثم يوضح أن رغبتهم في تلك الحروب أنما جاءت نتيجة حتمية لضغائنهم

وأحقادهم على أعدائهم إذ يرون الانتقام منهم ضرورة تحتمها أخلاقهم الحاقدة ويقول في ذلك:

وإن الضغن بعد الضغن يفشو عليك ويخرج الداء الدفينا

ثم يفخر بأنهم إذا انتقموا من غيرهم فإنما يقطعون رؤوسهم في غير رحمة، ويقول في ذلك:

نجذ رؤوسهم في غير برِ فما يدرون ماذا يتقونا

ثم يصور عمرو أنهم قبيلة مشهورة في القوة طارت في ذلك شهرتهم بالكرم وقدرتهم الواسعة على الانتقام من الأعداء عندما يركب الأعداء رؤوسهم فيعتمدون على قبيلة عمرو عندئذ يلقون الانتقام المهلك الزريع:

وقد علم القبائل من معدِ إذ قبب بأبطحها بنينا

بأنا العاصمون بكل كحلٍ وأنا الباذلون لمعتدينا

معلقة عنترة:

ويزكر فيها أنه فارس شجاع لا تناله مساءات الآخرين فإن ظلم فإن ظلمه كريه الطعم يكره كل من يذوقه ويقول:

فإذا ظلمت فإن ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم

ثم يصور نفسه بأن صفات الفارس كلها وبخاصة صفة الانتقام والرغبة فيه متوفرة له وأن نفسه تبرءا من آلامها وتذهب عها سقمها حين يجد الفرسان من قومه يستعينون به في الانتقام من أعدائهم.

ولقد شفي نفسي وأبرأ سقمهاقيل الفوارس ويك عنترة أقدم

ثم نراه يذكر لنا قصة قتله رجلاً وتركه شهية السباع والنسور، ثم أحس أن ابني هذا الرجل هما حصين وهرم بن ضمضم يتهددانه شتماً وينذران دمه على غير لقاء، ثم نرى عنترة يتلمس لهما العذر في رغبتهما في شتمه والانتقام منه بقتله لأنهما بذلك يدركان ثأر أبيهما الذي قتله عنترة من قبل، فهذا اعتراف من عنترة بضرورة الانتقام وطلب الثأر سواء أكان هو المنتقم أم عدوه فيقول:

ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشاتمى عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي
إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزر السباع وكل نسر قشعم

معلقة الحارث:

يؤكد إيمان قومه بالانتقام ويبقون عليه غير مبالين بعداوات الناس لهم فهو يقول لمن يشي بهم عند عمرو بن هند لإبقاء لما تدعى ضدنا فإن الملك سيعرف الحقيقة ثم لا تظن أننا سوف نتراجع عنك أو نتركك دون انتقام نتيجة لهذه الدسائس، فمن قبلك حاول أقوام آخرون ولم ينجحوا ولم نسكت عنهم بل بقية العداوة بيننا والرغبة في الانتقام متحصنين بقوتنا وعزتنا:

أيها الناطق المرقش عنا عند عمرو وهل لذاك بقاء
لا تخلنا على غراتك إنا قبل ما قد وشي بنا الأعداء
فبقينا على الشناءة تنمينا جدود عزة قعساء

ثم يؤكد الحارث أن خلق الانتقام يجري مع دماء قومه حتى أن من يريد الانتقام منهم لا يستطيع النجاة من انتقامهم فلا جبل ولا حصن ولأرض تنجيهم منهم ويقول:

ليس ينجي موائلاً من حذارٍ رأس طودٍ وحرة وجلاء

ثم يعير أعداء الثعلبين بأنهم ضعفاء، بدليل أنهم لا يستطيعون أن يثأروا من أعدائهم فمن قتل منهم اهدر دمه لعدم القدرة على أدراك ثأره، وتلك غاية الضعيف والمهانة فكأنهم قد غطوا دماء قتلاهم بالتراب:

ما أصابوا من تغلبي فمطلول عليه إذا تولي العفاء

ثم يفخر بأن قومه لديهم ثلاثة آيات على عمرو بن هند فقد أعطوه ملك غسان قواد بالمنذر الذي قتله الفساسنة وأعطوه هذا القواد حين قدروا وحدهم على الانتقام وإدراك الثأر بينما عجز الناس عن ذلك:

واقدناه رب غسان المنذر كرها إذ لا تكال الدماء

ثم يعير الحارث أعداءه بعجزهم عن إدراك الثأر جماعة لهم من تغلب ضربوا بالسيوف فلم يقدر على الثأر لهم أحد من بني تغلب فعيرهم الحارث بذلك فقال:

ليس منا المضربون ولا فليـ س ولا جندل ولا الحداء

ثم يعيرهم بأن أعداءهم قتلوا فيهم عظيمة ثم انصرفوا عنهم موفرين وقد تركوا فيهم داهية تقصم الظهور وغليلاً لا يشفيه الماء لأنه من حرارة الحقد وليس العطش ومع كل هذا فلم تستطع تغلب أن تثأر لقتلاها ولا أن تنتقم من أعدائها ويقول في ذلك:

ثم فاءوا منهم بقاصمة الظهر رولا يبرد الغليل الماء

تلك صورة للقيم الاجتماعية المتمثلة في الانتقال والرغبة في إدراك الثأر كما صورها أصحاب المعلقات وكما تمثله في قيمهم الاجتماعية فتخلق بها الناس الذين عاشوا معهم وعاصروهم فجري عليهم كل ما يجري على كل الناس الذي أظلتهم المعالم الاجتماعية لهذا المجتمع الجاهلي.

الخـــــاتمة :

لقد توصل الباحث إلي أن بعض الوحدات الاجتماعية تقوم على طريقة القهر والجبروت . وختمت هذه الوحدات الاجتماعية بوحدة القرى الحجازية التي جمعت بين محاسن الوضع المدني . وتمثلت فيها حضارات عاشت ديمقراطية البادية بطريقة هادئة ووضح كيف آلت لهذه الفئة قيادة بقية الوحدات الأخرى سياسياً واقتصادياً وفكرياً وثقافياً وعندئذٍ طغى لسانها على غيره من الألسن .

- وأيقن الباحث أن ما قم به الرواة والمدونين للشعر الجاهلي جهد جبار بذله العلماء والمخلصين رغم وجود الصعوبات والتشكيكات فقد أصبحت لدينا ذخيرة علمية واسعة تتمثل في المراجع والمصادر ، فالشعر الجاهلي يمكن أن يكون بديلاً لكتب التاريخ فقد حوى على أدق المعلومات فهو المصدر الرئيسي لأحوال العرب الجاهليين لذا تعاظمت قيمته التاريخية .

كما تناول هذا الشعر صورة العلاقات الاجتماعية للبدويين وتوصل إلي طبيعة هذه العلاقات تقوم على أساس الإحساس بكيان القبيلة والعشيرة فنتجت تضحية الفرد في سبيل الجماعة بأبعادها المختلفة وتبلورة في شعر المعلقات .

- ثم تناول تسمية المعلقات بالدراسة والاستقصاء في المعاجم اللغوية فوجد أن الاختلاف بين تسمية المذهبات المعلقات اختلاف لفظي فاللفظين يلتقيان في معنى اللزوم ومعنى الحب والهوى والتعليق ثم تتبع الأسماء التي أطلقت عليها وما يدار حولها من اختلاف .
- ثم تتبع ما اثير حول هذه التسمية في كتب المحدثين وقسمهم إلي ثلاثة منكر ومؤيد ووسط .
- وتناول في الفصل الأخير شعراء المعلقات والعادات والتقاليد التي تمخضت عن معايشة البدوي .
- فكشف الباحث البيئة الاجتماعية فوضح الأسس التي تقوم عليها حياة الجاهلي فأظهرت المشاركة الوجدانية التي كانت سمة ظاهرة لهم وعدتها في داخل المعلقات .
- وضح الباحث صورة العلاقات الاجتماعية للبدويين وتوصل إلي طبيعة هذه العلاقة التي تقوم على أساس الإحساس بكيان القبيلة والعشيرة بين الفرد والجماعية والعكس .
- وتناول العادات والتقاليد التي تمخضت عن معايشة البدوي فوجد أن قانون العادة عندهم حديدي فالنجدة عندهم عادة لا يجرأ أحد للتهاون فيها والكرم سمة يشهد المجتمع على رعايتها وكل من يتهاون فيها يعرضه للذم والتقريع الشديد .

- و توصل إلي حقيقة محافظة البدوي على عرضه بكل وسائل الحماية ، أما في الخمر فكشفت عن نظرتهم لشاربها وزمن شرابها وكيفية تسويقها والأواني المستعملة في الخمر .

ووضح موقفهم من الثأر وقوة القانون الذي لا يتجرأ أحد في التخلي عنه

وهذا والله ولي التوفيق

المراجع :

١/ أخبار أيام العرب ، جاد المولى وآخرون ، ط١ ، دار الحلبي للنشر .

٢/ أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، بطرس البستاني ، ج٢ ، مطبعة بيروت.

٣/ أشعار الشعراء الستة الجاهليين ن شرح د . عبد المنعم خفاجة ، ج ١ ، دار الجيل بيروت.

٤/ الأدب العربي القديم ، محمد صالح الشطي ، دار الأندلس.

٥/ الأدب الجاهلي ، د. طه حسين ، ط٢ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٢٧م .

٦/ الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً ، د. عفيف عبد الرحمن ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، دمشق .
٧/ الأدب العربي بين الجاهلية والإسلام ، المسلوت وحسن جاد وخفاجة ، الطبعة المصرية بالأزهر ، ١٩٥٥م .
٨/ الأصمعيات ، اختيار الأصمعي بن سعيد ، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف بمصر .
٩/ الأصول الفنية للشعر الجاهلي ، سعيد شلبي ، د ط ، د ن ، د ت .
١٠/ الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، ج ٦ ، ج ١٣ ، ج ٨ ، ج ١٢ ، دار الكتب
١١/ الأمالي ، أبو العلي الغالي ، مطبعة دار الكتب ، ١٩٢٦م .
١٢/ البيان والتبيين ، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق د . هوزي عطري ، مكتبة الطلاب ، وشركة الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨ م .
١٣/ الشعر الجاهلي ، منهج في دراسته وتقويمه ، د . محمد المويهي ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة .
١٤/ الشعر الجاهلي ، السياق والملامح ، د . صلاح رزق ، دار القرين للطباعة والتوزيع ٢٠٠٣م.
١٥/ الشعر الجاهلي بين الرواية والتدوين ، د. على أحمد الخطيب ، مكتبة الدار العربية ، مطبعة آمون، ط١/٢٠٠٣م ، ط٢/٢٠٠٥م.
١٦/ الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، د ط ، د ن ، د ت.
١٧/ الشعر الجاهلي ، يحي الحبوري ، ط٤، مؤسسة الرسالة بيروت١٩٨٣م.
١٨/ العصر الجاهلي ، د . شوقي ضيف ، ط ٣ ، ط٢٤ ، دار المعارف مصر.
١٩/ العقد الفريد ، بن عبد ربه ، ج٤ ، ج٥ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر١٩٦٥م .
٢٠/ العمدة ، ابن رشيق ، ج ١ ، ط ٣ .
٢١/ الكرماء ، أبو الهلال العسكري ، مطبعة صبيح القاهرة .
٢٢/ المعلقات في كتب التراث ، إعداد : عبد الفتاح المصري ، ط ١ ، مؤسسة الرسالة .

٢٣/ المفضليات ، الضبي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ج١ ، مطبعة دار المعارف ، ١٩٤٣م .
٢٤/ المفيد الغالي ، في الأدب الجاهلي ، د .زبير براقي .
٢٥/ جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تأليف بن زيد ، محمد بن أبي القرشي ، تحقيق : محمد علي البجاوي ، ط١ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧م .
٢٦/ حماسة التبريزي ، د/فخر الدين ، مطبعة حلب ،١٩٧٢م .
٢٧/ تاريخ آداب اللغة العربية ، تعليق : شوقي ضيف ، ج١ ، ط١ ، دار الهلال.
٢٨/ تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، ط ١١ ، مطبعة الرسالة .
٢٩/ تاريخ الأدب العربي ، تأليف : بورد كولمان ، ترجمة : د / عبد الحليم النجار ، مطبعة دار المعارف القاهرة .
٣٠/ تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، د/ نور حمودي ، عادل جاسم البياتي ، مصطفي عبد اللطيف ، دار النشر جامعة بغداد ١٩٨٩م.
٣١/ تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام ، علي فروج ، ج ١ ، دار العلم بيروت .
٣٢/ تاريخ الأدب الجاهلي ، د / علي الجندي ، دار المعارف ١٩٨٤م.
٣٣/ تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦م .
٣٤/ ديوان الحارث ، شرح : مجيد طراد ، دار الجيل بيروت .
٣٥/ ديوان زهير ، برواية الأصمعي ، دار الفكر العربي ١٩٨٣م.
٣٦/ ديوان طرفة ، تحقيق علي الجندي ، دار الفكر العربي .
٣٧/ ديوان عمرو بن كلثوم ، شرح : مجيد طراد ، دار الجيل بيروت
٣٨/ ديوان عنتر بن شداد ، تحقيق : عبد المنعم شلبي ، مطبعة شركة فن الطباعة.
٣٩/ ديوان لبيد ، نشره : هويد لدن ، ١٨٩١م ، صادر بيروت.
٤٠/ ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق : إحسان عباس ، مطبعة الكويت ، ١٩٦٢م.
٤١/ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن الأنبا ري ، تحقيق عبد السلام هارون .

٤٢/ شرح القصائد العشر ، للتبريزي ، تحقيق : د. فخر الدين ، ط٢ ، حلب ، ١٩٧٢م .
٤٣/ شرح المعلقات السبع ، لابن الأنبا ري ، مخطوطة بدار الكتب .
٤٤/ شرح المعلقات السبع ، لأبي عبد الله الحسن بن محمد الزوزني ، مطبعة دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٨م .
٤٥/ شعراء النصرانية ، الأب لويس شيخو ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، ١٨٩٠م .
٤٦/ لسان العرب ، ج٢ ، الفريد للطباعة والنشر دبي .
٤٧/ مجلة آفاق الثقافة والتراث ، العدد ١١ .
٤٨/ مجلة التراث العربي ، مقالة ظاهرة الإنتماء في القصيدة الجاهلية ، العدد ١٤٤ .
٤٩/ مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، د .ناصر الدين أسد ، مطبعة دار المعارف .
٥٠/ مقدمة بن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون ، المكتبة التجارية بمصر ، مطبعة الأزهر بالقاهرة ، ١٩٣٠ م .
٥١/ معجم الشعراء ، المزياني ، د ط ، د ن ، د ت .
٥٢/ معلقات العرب ، د . بدوي طبانة ، ط ٢ ، مكتبة الأنجلو المصرية .
٥٣/ ملامح اجتماعية في الشعر الجاهلي والإسلامي ، د . على الشوافي وإسحاق الشعيبي ، دار الرفاعي للنشر ، الرياض ..
٥٤/ نزهة في طبقات الأدباء ، د ط ، د ن ، د ت .